

تجربة نهج "من فاقدة إلى فاقدة": دراسة كيفية حول النساء، الاحتلال، الفقدان الجمعي والدعم الشمولي

The Experience of "from a Bereaved Woman to Another": a Qualitative Study about Women, Occupation, Collective Loss and Holistic Support

سهيل حسنين

Sohail Hassanein

دائرة الخدمة الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القدس، أبو ديس، فلسطين

بريد الكتروني: sohail.has@hotmail.com

تاريخ التسليم: (٢٠١٢/٤/١٧)، تاريخ القبول: (٢٠١٢/١٢/٢)

ملخص

تعتبر التجربة الحالية جزءاً مميزاً من النضال النسائي الذي يستمد قواه من مشروع "النساء والاحتلال والفقدان"، الذي تم تنفيذه في ثلاث مناطق: جنين، نابلس وبيت لحم. إن الافتراض الأساس لهذه التجربة هو أن خبرة الفقدان جسداً وروحاً هي جزء لا يتجزأ من عملية مواجهتها (أي مواجهة تجربة الفقدان)، ومن خلال توفير الفرص والإمكانات للفاقدات بالتعبير عنها. تهدف الدراسة الحالية إلى وصف وفهم دور التدخل الشمولي المستند على نهج الدعم المتبادل في سياق النساء والاحتلال والفقدان، ومن خلال استخدام النهج الكيفي، قاصداً رصد وتوثيق التجربة بشكل مفصل. تناقش الدراسة أيضاً اتجاهات نظرية ونتائج لدراسات وتجارب في مجال الفقدان والنساء في مناطق الصراع أو مناطق محتلة والمقارنة مع تجربة المشروع الحالية. أظهرت نتائج الدراسة الكيفية حصول تغييرات عاطفية وفكرية وسلوكية لدى الفاققات والفاقدات الداعمات ولدى الأهل، نتيجة المشاركة في لقاءات الدعم. تظهر النتائج، بشكل عام، أن النساء نجحن في التعبير عن ذاكرة وهوية الفقدان والوعي لمكوناتها الفلسطينية. فالفاقدات رغم الحزن والأسى لم تستسلم، واستطعن، باستعدادهن القوي وبدعم الأزواج والأولاد والحيران وبدعم من الفاققات أنفسهن والفاقدات الداعمات، أخذ القرار حول استمرارية الحياة من الاستنتاجات الهامة، التي تتوصل إليها التجربة الحالية، هي أن نهج الدعم المتبادل الشمولي "من فاقدة إلى فاقدة" هو نهج مناسب للتخفيف من حدة اضطرابات الفاققات الجدد، الفاققات الداعمات وأفراد الأسرة من ناحية، والجمهور الواسع الذي يُعتبر ضحية غير مباشرة لممارسات الاحتلال.

كلمات مفتاحية: الفقدان الجمعي، الدعم الشمولي، نهج من فاقدة إلى فاقدة.

Abstract

The current study develops its force from practices of Palestinian women, occupation and loss project that aims at describing and understanding the role of holistic intervention based on the mutual support approach "from a bereaved woman to another". The qualitative study has been utilized, with a view to reaching an integrated description, analysis and explanation of the experience that has been documented in details, through using special documentation forms. The results show that changes have taken place to bereaved women and supportive bereaved ones, as a result of participation in support and through training meetings. The study concludes that women have succeeded in expressing the memory and identity of loss and in being conscious of the Palestinian components. The experience of bereaved woman-to-bereaved woman has proved effective and promising as regards the alleviation of the intensity of the direct bereaved disorders, and a wide population, considered indirect victims.

Key words: collective loss, social support, "from a bereaved woman to another".

مقدمة

إن الخوض في تجربة تربط النساء، الاحتلال، فقدان والدعم هي مهمة صعبة. تحاول الدراسة الحالية التركيز على تجربة النساء، كما انبثقت من أنشطة الدعم، ومن الدراسة الكيفية التي أجريت لفحص نتائج هذه التجربة.

يعيش الشعب الفلسطيني رجالاً ونساءً، أطفالاً وشباباً ومسنين في وطأة مستمرة من إجراءات الاحتلال، التي تشكل تهديداً مستمراً على حياتهم. تؤدي هذه الإجراءات الى بيئة من الخوف والقلق، توتر نفسي، عصبية، إحباط، بلبلة، عدم القدرة على التفكير المنطقي، توقعات مستمرة لحصول صدمات وأزمات، فقدان الضبط والسيطرة ومشاعر أليمة أخرى. تتأثر النساء بشكل ملحوظ بهذه الممارسات، فإنهن يعانين مع أسرهن في حالات اعتقال أو إصابة أو استشهاد احد أفرادها، أو الحصار أو هدم البيت. والنساء أيضاً أمهات، أخوات وبنات لفاقدين أو فاقدمات، معتقلين ومعتقلات. تؤدي هذه الأوضاع لفقدان مستمر، وفي حالات كثيرة تظهر لدى النساء أعراض أو "اضطرابات ما بعد الصدمات".

تُحرم، في أحيان كثيرة، النساء، أيضاً، من حق زيارة زوجها أو ولدها المعتقل أو السجين وتنتظر الأيام والليالي وفي أحيان الأشهر، من أجل الحصول على إذن ولكن بدون جدوى. تُجبر

النساء، وبسبب غياب الزوج، على تحمل أعباء ومسؤوليات الأسرة، وبسبب المجتمع المحافظ فهن غير مهينات لهذه الأدوار الجديدة، كونهن يعشن في مجتمع أبوي، وهذه الحقائق الاجتماعية تُصعد من معاناتهن الاجتماعية إضافة لمعاناتهن من إجراءات الاحتلال.

تعاني، حقيقة، النساء الفلسطينيات شأنهن شأن نساء العالم العربي عامة، والعالم الثالث خاصة من فقدان والصدمات. في حين أن معاناة النساء نابعة من ممارسات الاحتلال، إلا أن هذه الممارسات تؤثر أيضاً على الأفراد والمجموعات والمجتمعات، حيث تعاني الأسرة وخاصة الأطفال والأزواج من تجارب مؤلمة يومياً ومن أشكال مختلفة من فقدان.

سياق تجربة "النساء، الاحتلال، فقدان والدعم"

كان الاتجاه، في مرحلة المشروع الأولى، هو السعي لبحث واقع النساء الفلسطينيات وقد تم النظر إليهن من خلال السياق الذي يعشن فيه. يستند هذا النهج إلى الاستماع مباشرة ووجهها لوجه لكلمات النساء في وصف مشاعرهن وآلمهن وذكرياتهن من ناحية، والسعي للتعرف على أساليب ملائمة لمساعدة الناجين الآخرين من الناحية الأخرى. كان لا بد، بداية، من طرح موضوع عنف الاحتلال وعمليات التكيف. تحدثت النساء حول العجز الكامل خاصة نتيجة إصابة أحد أفراد الأسرة أو هدم البيت أو استشهاد الأبناء. أبرزت هذه المناقشات الجماعية أن اقتحام المنازل هو أكثر أشكال العنف تأثيراً على النساء. إضافة إلى ذلك، تم الوعي لقضية العنف المرتبط بالنوع الاجتماعي حيث ناقشت المشتركات الفاقات ومقدمات الخدمة التقاطع القائم بين العنف النابع من الاحتلال والعنف المبني على النوع الاجتماعي. لقد تم التعبير عن الضغوط التي تتعرض لها الضحايا من النساء، من قبل الأزواج أو الآباء أو الأخوة، ولقد تم التوصل للاستنتاج بأن العنف المبني على النوع الاجتماعي يحدث في كافة جوانب الحياة وهو متأثر، بدرجة كبيرة، بالإجراءات العسكرية للاحتلال.

أما في المرحلة الثانية فقد تم طرح تجربة جديدة حول كيفية الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الفاقات، وكيفية تطوير آليات دعم للتعامل مع فقدانهن. توصلت هذه التجربة، في كثير من حالات فقدان، إلى أن النساء الفاقات يتعرضن لضغوط مجتمعية مختلفة ولا يتلقين الدعم المجتمعي اللازم نتيجة لكونهن نساء، إضافة إلى لوم الفاقات من قبل الآخرين. تحدثت النساء، في كثير من حالات الدعم الفردي والجماعي، ليس فقط عن فقدان وتأثيره عليهن، إنما عن مشاكلهن الناتجة عن "القمع المجتمعي" المبني على النوع الاجتماعي، حيث تم إبراز هذه الممارسات الموجهة من قبل الأب والأخ من جهة، ومن قبل الزوج من جهة أخرى. إضافة إلى مناقشة موضوع الضغط المجتمعي الناجم عن العادات المجتمعية السائدة كوسيلة للضبط والسيطرة على سلوك المرأة بشكل خاص. تزداد هذه الضغوط عندما تكون المرأة أما أو زوجة أو أختاً لشهيد أو أسير، حيث إن هناك تقاليد لا بد من التمسك بها حماية لمكانة الشهيد، أو الأسير كما يحددها المجتمع، ومناقشة قضايا أخرى مثل طرق مجتمعية للتخفيف على الأم والزوجة من أثر الصدمة.

أما في المرحلة الثالثة، فتم ممارسة نموذج تدخل دعم شامل لمواجهة صدمة الفقدان، ومن خلال العمل ضمن أربعة مستويات دعم مختلفة: فالدعم الفردي الذي يهدف للتدخل في مرحلة ما بعد الفقدان مباشرة لمساعدة الفاقدة على مواجهة الصدمة والعودة إلى الحياة الطبيعية بأسرع وقت ممكن، ويتم ذلك من خلال التوجه للفاقدة من قبل داعمين للعمل معها بشكل مباشر، ومساعدتها على التفريغ وممارسة كافة الطقوس التي من الممكن أن تساعد لاحقاً. أما الدعم الجماعي، فيهدف إلى توفير الراحة النفسية من خلال الدعم النفسي الاجتماعي داخل المجموعات التي تتشارك في الفقدان، حيث تتشارك الفاقات خبراتهن وتجاربهن. وتم الدعم المجتمعي، الذي يهدف إلى زيادة الوعي المجتمعي حول الفقدان وآليات التعامل معه، بما يضمن توفير بيئة مجتمعية داعمة للنساء الفاقات، حيث تُنفذ الفاقات الداعمات حلقات نقاش ومحاضرات من خلال التنسيق مع المؤسسات المجتمعية المختلفة، يعرضن فيها تجاربهن ويتطرقن بوضوح إلى الأخطاء المجتمعية التي تمارس والتي تزيد من عبء الفقدان على الفاقات، وتسهم في زيادة معاناتهن، والبدائل المطلوب تطويرها مجتمعياً.

مصطلحات الدراسة

الاحتلال الإسرائيلي: عملية استيلاء وهيمنة سلطات اسرائيلية على مكونات الشعب الفلسطيني من أرض وانسان منذ ١٩٤٨. وتعتبر هذه السيطرة الشاملة أحد اشكال الاستعمار واكثرها وضوحاً واثراً، وتشمل السيطرة النفسية، والثقافية، والمدنية، والاقتصادية، والسياسية والعسكرية.

الفقدان: استشهد أو اعتقال أو إصابة أو هدم بيت أو سلب أي نوع من الحقوق والاملاك والناجمة من ممارسات الاحتلال.

مراحل المشروع: المرحلة الأولى (٢٠٠٢-٢٠٠٤) والمرحلة الثانية (٢٠٠٤-٢٠٠٦) والمرحلة الثالثة (٢٠٠٧-٢٠١٠)، والتي نفذت بواسطة مركز الدراسات النسوية.

نساء فاقات جدد: نساء فقدن أحد أفراد الأسرة أو أقرباء من الدرجة الأولى أو أملاك في الأونة الأخيرة (٢٠٠٧-٢٠١٠).

فاقات داعمات جدد: نساء فاقات خلال انتفاضة الأقصى وبعدها، اشتركن في فعاليات المرحلة الثانية من المشروع كفاقات ويشتركن كداعمات في المرحلة الثالثة.

فاقات داعمات قدامى: نساء فاقات خلال انتفاضة الأقصى وبعدها اشتركن في فعاليات المرحلة الأولى من المشروع كفاقات، واشتركن كداعمات جدد في المرحلة الثانية، واشتركن أيضاً كداعمات ضليعات في المرحلة الثالثة.

نهج الدعم المتبادل أو من فاقدة إلى فاقدة: إستراتيجية تدخل فلسطينية المنشأ تؤمن أن دعم الفاقات يتم من خلال فاقات متشابهات في التجربة وفي الثقافة.

افتراضات أساسية

تعالج الدراسة الحالية جوانب متعددة المتعلقة بوضع النساء الفاعلات ومعاناتهن، سواء بسبب الاحتلال أو بسبب عزز البيئة المحلية عن التعاطي مع هذا الفقدان. يختلف هذا الفقدان عن الفقدان العادي النابع من كوارث طبيعية أو ظروف ذاتية وأسرية واجتماعية، أو الفقدان السياسي بمعنى ضحايا القمع والاستبداد. إن الفقدان بالمعنى القومي مختلف، أي الفقدان نتيجة احتلال الأرض والإنسان كما هو الحال في فلسطين. ومن هنا، يُفضل استخدام مفهوم الاحتلال والحروب وليس مفهوم النزاع، وذلك من منطلق أن النزاع قضية مؤقتة يمكن أن تجد لها حلاً وهو يقع بين طرفين بقوى متعادلة. لكن ما هو موجود في فلسطين احتلال متعدد الأوجه: نفسي، وثقافي، ومدني، وسياسي وعسكري. نفترض أيضاً النظر لعمليات الدعم كعمليات تساعد على التخفيف عن الفاعلة وعلى تمكينها سياسياً، واقتصادياً واجتماعياً. وبالتالي يتم إدراك الدعم ليس فقط كـ "ترميم آلام الضحايا"، وإنما عملية تمكين لفئات نسائية مقاومة لظروف ثقافية واجتماعية وسياسية وعسكرية.

نقطة هامة أخرى مرتبطة بسياق الدراسة هو الافتراض أن هدف المشروع هو ليس تسييس مواقف الفقدان. فالاتجاه هو ليس، على سبيل المثال، التركيز على تسييس الموقف بعد الاستشهاد مثل: تهنئة الأم باستشهاد ابنها، وقيامها بالزغردة، ولكن نفترض الدراسة توفير فرصة للأم الفاعلة للتفريغ الوجداني العاطفي المختزنة فيها، من منطلق أن حين يحضر البكاء للشخص ذكراً أو أنثى، سوف يفعل.

إضافة إلى ذلك فالدراسة لا تهدف إلى تأنيث الفقدان فالفقدان يعاني منه جميع شرائح المجتمع الفلسطيني على حد سواء، حيث البكاء والحزن مرافق لكل فاقد أكان ذكر أو أنثى. إن صلاحية الدراسة هي الخوض في فقدان المرأة الناتج من تواجد الاحتلال وكيفية دعمها، في بيئة ظروفها المركبة بل المعقدة ثقافياً، اجتماعياً، اقتصادياً، سياسياً وعسكرياً.

أغراض وأهداف الدراسة

في ضوء الازدياد في عدد النساء الفاعلات خاصة، وعدد الفاعلات في المجتمع الفلسطيني عامة، حيث نفترض ان الحاجة ملحة لدعم ولمواجهة حاجيات النساء والمجتمعات التي تعاني من أعراض ما بعد الصدمات. بالتالي فالغرض الأساس للدراسة هو فحص أثر نهج دعم شمولي أكثر حساسية لمقومات ثقافية ودينية واقتصادية وسياسية. بالتالي تهدف الدراسة الى توفير مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات، النابعة من فحص فاعلية وفعالية نهج الدعم "من فاعلة الى فاعلة".

أسئلة الدراسة

لا بد من طرح بعض الأسئلة التي تود الدراسة الإجابة عليها: ما المميز لوضع النساء قبل الفقدان؟ كيف تنظر الفاعلات وأفراد في الأسرة للفقدان؟ كيف تتصور الفاعلات تعاملهن مع

الفقدان والقدرة على الاستمرار والتأقلم خلال الدعم وبعده؟ ما هي توقعات وحاجيات الفاققات وأفراد في الأسرة خلال الفقدان؟ ما أهم ممارسات الدعم في مجال الفقدان؟ ما هي مواقف الفاققات والاهل اتجاه التغييرات الحاصلة لديهم نتيجة المشاركة في لقاءات الدعم؟

منهجية الدراسة

تستخدم الدراسة الحالية البحث الكيفي، والذي يعتبر أحد أنواع البحوث التي يتم اللجوء اليها في سبيل الحصول على فهم متعمق، ووصف شمولي لظاهرة انسانية، ومن خلال البحث عن الطبيعة الجوهرية للظواهر كما هي في الواقع (رجب، ٢٠٠٣). استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن، حيث يصف ويناقش أهم ممارسات تجربة التدخل مع داعمات فاققات، ويفحص الفقدان خلال أربع فترات: قبل الفقدان، خلال الفقدان، خلال الدعم وبعد الدعم. يتكون مجتمع الدراسة الرئيسي من فئة مقصودة تشمل مجموع النساء اللواتي اشتركن في المرحلة الثالثة من مشروع "النساء، الاحتلال والفقدان". ان العدد النهائي للمجتمع المشارك في فعاليات المشروع كان (٧٠) فاقدة جديدة و- (٢٤) فاقدة داعمة من ثلاث مدن: بيت لحم، نابلس وجنين. وفق البيانات، فان ما يميز أغلبية مجتمع الفاققات هو فقدان من نوع اعتقال أو استشهاد الزوج أو أحد أفراد الأسرة (حوالي ٧٧% من المجموع الكلي)، في حين أن حوالي (١٢%) من الفاققات يعانون من فقدان متعدد وهذه النسبة ليست بقليلة، ولما لها من مضاعفات على الصحة النفسية والاجتماعية. تُظهر البيانات، أيضاً، أن أغلبية الفاققات والداعمات متزوجات (٧١%) وأرامل (٢٠%)، في حين أن عمر (٣٩.٤%) منهن هو (٤١-٥٠ سنة) و(٢٤.٥%) منهن (٣١-٤٠ سنة)؛ (٢٣.٤%) منهن بعمر (٥٠) سنة فما فوق والباقي- دون (٣٠) سنة. يبدو، من ناحية سنوات التعليم، أن (٥٠%) من الفاققات تعلمن (٩) حتى سنوات تعليمية.

تعتمد الدراسة على مصادر أولية متعددة لجمع البيانات. فالبيانات النوعية تعتمد على طرق توثيق التجربة مثل محاضر لقاءات الطاقم التنفيذي للمشروع؛ خطة المشروع؛ تقارير تلخيصية لتنفيذ المشروع؛ تقارير الزيارات الميدانية لمنسقة المشروع؛ تقرير التقييم الخارجي وملفات لقاءات الدعم الفردي والجماعي والمجتمعي. يستند تحليل البيانات النوعية على أسلوب تحليل المضمون الذي يركز على عناوين محددة والتي تعكس مكونات التجربة، مثل: وضع الفاققات قبل الفقدان، خلال الفقدان، خلال الدعم وبعد الدعم من ناحية أفكار ومشاعر وسلوك الفاققات، علاقة الفاققات مع أفراد الأسرة ومع الجيران، القضايا المرتبطة بالفقدان وعمليات الدعم وخاصة التركيز على تطور علاقة الدعم ومهارات الدعم، ونتائج عملية الدعم على المستوى الفكري والعاطفي والسلوكي لدى الفاققات، وردود فعل أفراد في الأسرة اتجاه الفاققات خلال الفقدان والدعم.

الدراسات السابقة

يقول فرييري (Freire) في كتابه الشهير "نظرات في تربية المعذبين في الأرض": "إن أي وضع يقوم فيه "أ" من الناس موضوعياً باستغلال "ب" من الناس، أو يعيق سعيه لإثبات

نفسه كشخص مسؤول، هو وضع اضطهاد وقمع. وضع كهذا يشكل بحد ذاته حالة عنف. يبدأ العنف مع إقامة علاقة اضطهاد" (فريري، ٢٠٠٢: ٣٧).

قبل الخوض في تجارب الفقدان والدعم في مناطق عانت وتعاني من الحروب والصراعات العسكرية، لا بد من التطرق لدراسات ميدانية متعددة، التي توفر استنتاجات حول الدعم المستند على الفقدان الناتج من الحروب والاحتلال ومفهوم النوع الاجتماعي.

الفقدان، الدعم، والنوع الاجتماعي

تحاول دراسات ميدانية متعددة منها الأجنبية، ومنها العربية، والفلسطينية توفير استنتاجات التي تربط بين الفقدان الناتج من الحروب وأوضاع الاحتلال وبين علاقات النوع الاجتماعي (تحديداً المبني على أساس الذكر والأنثى).

أوجدت الدراسات، التي سيتم التطرق إليها، أن الدعم الاجتماعي والنوع الاجتماعي هما من العناصر الهامة لمعرفة ماهية تجارب النساء والرجال في مواقف الصدمات ولمعرفة أعراض ما بعد الصدمات. فعلى سبيل المثال، وبعد الحرب البوسنية بسنتين، وُجد أن أكثر المجموعات المتأثرة بهذه الحرب كانت النساء واللواتي توفر لهن دعم اجتماعي منخفض (Ahern, 2004). أدت هذه الحرب إلى تحول النساء إلى أولياء أمور الأسر وبالرغم من أنهن تولين مسؤوليات كبيرة، إلا أن لم يكن لديهن فرص متساوية للوصول للموارد الهامة، ولأنه لم ينظر إليهن كجزء من عملية اخذ القرارات السياسية في المجتمع المحلي وفي المواقع الرسمية.

تُظهر نتائج دراسات شبيهة، أجريت في مناطق متعددة التي كانت تعرضاً للصراعات المسلحة ولللعنف المنظم الموجه من قوات عسكرية خارجية، أهمية الدعم الاجتماعي في مواجهة الاضطرابات ما بعد الصدمات، وتؤكد أهمية هذا الدعم في وسط فئات النساء مقارنة بفئات الرجال وذلك لسبب أن النساء هن الأكثر تعرضاً لهذه الصدمات والاضطرابات ما بعدها (Dybdahl, 2000; Stein, 2000). من هنا فالعلاقة بين ثلاثة أوضاع هي هامة: اضطرابات ما بعد الصدمات والناتجة من الحروب والاحتلال، النوع الاجتماعي، والدعم الاجتماعي.

تفحص هذه الدراسات تبعات الاحتلال من ناحية، والمقاومة من ناحية أخرى على النوع الاجتماعي. أي، تحليل مدى تأثير هذه الأوضاع غير العادية على الرجال مقارنة بالنساء. فعلاقات النوع الاجتماعي تتميز بشكل عام من خلال المقدرة للوصول للقوة أو للموارد المتوفرة في المجتمع. ولهذا التميز القائم بين الذكور والإناث أهمية في كيفية تأثير الاحتلال على كلا الجنسين.

تواجه النساء في حقبة الصراع السياسي طلبات متعارضة بواسطة المجتمع. من الناحية الأولى: ينادي مجتمع النساء للعب دور فعال في عملية الصراع. ولكن من الناحية الأخرى، يتم النظر للنساء كأمهات وبالتالي متوقع منهن القيام بمسؤولياتهن تجاه الأسرة، وهذا ما يبرر فرض القوة من طرف الرجال لحمايتهن كضحايا لهذا الصراع.

أحد الاستنتاجات التي تتوصل إليها الدراسات المختلفة هي أن الصدمات الناتجة من الحروب مرتبطة بالنوع الاجتماعي، ليس من منظور المرأة أو الرجل، ولكن من منظور أن الصدمة لدى النساء تتكون بشكل مختلف عن الرجال. هذا الاختلاف يتم تفسيره بالتطرق لمكونات الهوية الثقافية للمرأة والرجل في المجتمع، وليس للمكون الجسماني ل كليهما. فعلى سبيل المثال، أصبحت النساء في وقت الحرب (حسب الحالة الأوغندية) المسؤولة عن الأسرة، وكثير منهن بدان بتنفيذ أدوار جديدة إضافة للمسؤوليات التقليدية مثل حماية الأطفال وتنظيم الغذاء للأسرة، وفي نفس الوقت اشتركن في المقاومة المسلحة (Liebling et al., 2007). وفق هذه التجربة فقد تم العمل مع النساء من خلال تبني استراتيجيات التي هدفت المحافظة على البقاء وذلك من خلال تكوين مجموعات دعم. بالمقابل، تحاول دراسة لبلنج وآخرين (Liebling et al., 2008) إظهار الأدوار الهامة التي تلعبها النساء في أوقات الحرب وما بعدها وخاصة على مستوى التدخل والاندماج في عمليات سياسية، حيث لم تكن النساء "ضحايا صامتة" بل مشتركات فعالات في الدعم الاجتماعي وفي مراحل عملية اخذ القرارات، وبالرغم من ذلك كانت أصواتهن أقل تمثيلاً.

حاولت دراسات أخرى فحص مدى تأثير الحروب والنزاعات المسلحة على النوع الاجتماعي. ففي دراسة التي أجريت في البوسنة والهرسك (Hasanovic et al., 2007) لم تتوفر فروق، دالة إحصائية، بمدى تأثير الحرب على النوع الاجتماعي، حيث كانت الأعراض متشابهة لدى الأولاد والبنات.

أما في الدراسات المحلية، فيمكن التمييز بين اتجاهين الذين تطورا وفحصا العلاقة بين النوع الاجتماعي وتبعات فقدان. **الاتجاه الأول:** وفق نتائج دراسة السراج وآخرين (Punamaki, Qouta & Al- Sarraj 2007) حيث وُجد أن فئات النساء هن الأكثر معاناة من فقدان مقارنة بالأزواج أو الأطفال. وهذه النتيجة تؤكد دراسة أبو ندى (Abo Nada, 2003) التي تشير إلى أن تأثير الصدمة أكثر لدى الإناث من الذكور. وهذا ما تؤكد أيضاً كيفوركيان (Kevorkian, 2004; 2005) أن أفراد الفئات المستضعفة (كالنساء، والأطفال، وكبار السن) يتأثرون نفسياً من "الهجوم التاريخي على بيت ووطن الفلسطينيين". إحدى النتائج المعاكسة لذلك والتي توصل إليها الخواجة (الخواجة، ١٩٩٦) هي أن الذكور هم الأكثر تعرضاً للصدمة النفسية مقارنة بالإناث، ويفسر ذلك بالرجوع لطبيعة ثقافة المجتمع إذ إن الذكور هم الأكثر ممارسة للعمل وللوظائف المختلفة في المجتمع.

الاتجاه الثاني: يؤكد هذا الاتجاه عدم توفر فروق بين الذكور والإناث لكرب ما بعد الصدمة. يتضح، حسب دراسة محلية، للقُدومي والحلو (٢٠٠٣) أن درجة تعایش آباء وأمهات شهداء انتفاضة الأقصى في محافظات نابلس وطولكرم وقلقيلية كانت كبيرة. أي أنه لا توجد فروق، ذات دلالة إحصائية، في درجة التعایش مع الضغوط التالية للصدمة لدى آباء وأمهات شهداء انتفاضة الأقصى في محافظات نابلس وطولكرم وقلقيلية تُعزى لمتغير صلة القرابة بالشهيد (أب، أم). يرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود إلى عدة عوامل منها: زيادة رغبة المجتمع الفلسطيني في التخلص من الاحتلال الإسرائيلي، وحسن التكافل والمساندة الاجتماعية بين أسر المجتمع.

الفلسطيني الواحد، إضافة إلى ذلك حسن استخدام التدين لدى أفراد المجتمع الفلسطيني، وذلك من خلال زيادة إيمانهم بالله وعدالة قضيتهم. وهذا ما أكدته أيضا نتائج دراسة العارضة (١٩٩٨) التي أظهرت أن عامل التدين هو من أكثر العوامل استخداماً لمواجهة الضغوط التي تواجه المعلمين في فلسطين. والنقطة الهامة هنا المرتبطة بالنوع الاجتماعي هي انه لم تكن الفروق بين الآباء والأمهات دالة إحصائية نحو الضغوط التالية للصدمة.

وهذه النتيجة تؤكدها دراسة أخرى للمجدلاوي (AI-Majdalawi, 2004) والتي تتوصل إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث من حيث تطور ردود الفعل لكرب ما بعد الصدمة. ويفسر الباحثان شعت وثابت (شعت وثابت، ٢٠٠٧) هذا الاتجاه بالرجوع إلى البيئة الفلسطينية التي تقع تحت مؤثرات صادمة نفسية يتعرض لها كل من الجنسين بالدرجة نفسها، وان تفاعل كل منهما مع كرب ما بعد الصدمة يصل إلى نفس المستوى لدى كل منهما برغم من الاختلاف الناتج عن التنشئة الاجتماعية والأدوار.

تؤكد دراسة القريناوي وآخرين (AI- Krenawi, Graham & Sehwal, 2004) التفسير الذي طرحه شعت وثابت (شعت وثابت، ٢٠٠٧) ومفاده أن كل أسرة عربية، عاشت العنف والانتهاك، تتأثر بشكل واضح في حال تأثر أي شخص من أفرادها بالصدمة، بالتالي فإن الصدمة واقعة ومؤثرة على الرجال والنساء كونهم جزءاً من هذا الجهاز.

الاستنتاج الأساسي الذي تتوصل إليه هذه الدراسات هو أن العلاقة هامة وضرورية بين ثلاثة مفاهيم: الفقدان في أوضاع الاحتلال، النوع الاجتماعي، والدعم الاجتماعي والتي توفر استناداً نظرياً لضرورة بناء وتنفيذ مشروع يضمن الارتباط بين هذه المفاهيم.

فقدان المحتل

جرب ويُجرب ملايين من الأشخاص، حول العالم، أنواعاً من الفقدان ناتجة عن فرض نزاع مسلح (أو احتلال مستمر كما هو الحال في فلسطين) على السكان المحليين. يمكن القول ان ما يسمى بـ "اضطرابات الضغوط التالية للصدمة" تنجم من معاناة الفرد وما شاهده وأدركه من منظوره كصدمة شديدة، ويترتب عليها اضطراب محدد هو اضطراب الضغوط التالية للصدمة. فعلى سبيل، يمثل مشهد تدمير المنازل بالنسبة لسكانها صدمة كبيرة خارج نطاق الخبرة الإنسانية العادية، ويؤدي هذا فيما بعد إلى ظهور أعراض الاضطرابات السلوكية التي قد تكون في صورة قلق وتوتر دائمين أو عدوانية خاصة عند الفئات التي تنقصها الخبرة والتجربة. وقد زاد الاهتمام في الدراسات العربية في مفهوم الصدمات والاضطرابات ما بعد الصدمات، وكان الاهتمام في تكوين أدب عربي مُميز ومجموعة من الدراسات الميدانية التي تركز على تجارب فاقدين وفاقدات في مناطق عربية متعددة، وخاصة في لبنان وفي فلسطين وفي العراق وفي الكويت (حب الله، ١٩٩٦؛ صالح، ٢٠٠٦؛ رضوان، ٢٠٠٦؛ جار الله، ٢٠٠٦؛ النابلسي، ٢٠٠٦).

والفقدان كان موضوعاً أساسياً لكثير من الدراسات المحلية الأخرى. فقد أجرت عبد الهادي (٢٠٠٧) توثيقاً لروايات نساء خلال الانتفاضة الثانية والتي هدفت التعرف على الأدوار والصعوبات التي تواجه المرأة. توصلت هذه الدراسة لنتيجة بان زوجات الشهداء يعانين من فقدان الأمان العاطفي والضغط الناجم عن تلبية احتياجات الأسرة الاقتصادية والنفسية. توصلت دراسة أكاديمية أخرى حول فردانية زوجات شهداء انتفاضة الأقصى (تعامرة وحسنين، ٢٠١٠) لنتيجة أن لدى زوجة الشهيد درجة متوسطة من التكيف الاجتماعي، وبالتالي فهي تعاني الكثير نتيجة الفقدان ولكن إيمانها بالله وعزائها بالأهل والأقارب والأصدقاء هي عوامل مساعدة على تقبل الفقدان.

تُبين دراسة عواد (٢٠٠٦)، حول قصة الأمهات الـ ١٢ اللاتي قتل أبناؤهن بالرصاص في أكتوبر ٢٠٠٠ داخل مناطق الخط الأخضر، أن النساء الفاقدات عاقدات داخل بنية مقسومة، بشكل مطلق، بين الخاص والعام. تتوصل هذه الدراسة لاستنتاج أن الفاقدة لو اختارت إعطاء فقدانها معنى جماهيرياً وسياسياً، سيتوجب عليها دفع ثمن قوامه عدم التحدث عن مشاعرها، غضبها، ألمها وحزنها. وهي حالة تضعها في وضع من عدم الانسجام بين العالمين - عالم المعاناة الشخصية وعالم التوقعات الاجتماعية، القومية والدينية منها كأم شهيد. وهكذا فبإمكانها تقبل معنى الشهادة كأمر قومي، والتنازل عن التعبير عن مشاعر الحزن والفقدان. فهي والدة الشهيد الذي مات ميتة الأبطال، وتحظى بتقدير اجتماعي بفضل "شهادة ابنها"، حيث والدة الفلسطينية مطالبة بالتضحية حيث أمومتها تقف في واجهة الصراع. هذه الظاهرة تمثل التناقض بين الدور الغريزي للأُم وهو حماية حياة أولادها والاهتمام بسعادتهم ورفاهيتهم، وبين دورها كأم وطنية، يطالبونها بالاستعداد للتضحية بحياة أولادها من أجل الوطن. من هنا فالفاقدات يدفعن ثمناً للتمييز الأبوي بين الفضاين، الخاص والعام. وفي ظروف صراع قومي يتخذ هذا التمييز بشكل أكبر معاني شعورية.

حيث تعكس هذه الدراسة تجربة نسائية يصبح النكل السياسي فيها مصدرًا لقوتهم، في حين أن مسألة الربط بين الهوية الأمومية والقومية طرحت كمسألة مركزية، أي بين الهوية الأمومية المطلقة للفقدان وبين قوميته.

أما الدراسات الأجنبية فقد تم إجراؤها في بلدات مرت وتمر بحروب ونزاعات مسلحة. فحسب تجربة الفقدان السياسي في كوسوفو وتأثيرها على العلاقات الأسرية والزوجية (تجارب ٥٠ امرأة يعانين من الفقدان السياسي في فترة الحرب في كوسوفو ومقارنتها بـ ٥٠ امرأة يعانين من الفقدان العادي و ٥٠ امرأة لم يعانين من الفقدان) تم التوصل إلى تواجد أعراض المرتبطة بالفقدان السياسي (مثل التوتر، الاكتئاب، الغضب، العنف أو خلل في التواصل الاجتماعي)، والتي تؤدي كلها إلى مشكلات خاصة في مجال العلاقات الزوجية والجنسية. حيث تؤكد الدراسة أن هذا الفقدان يؤدي بالضحية إلى شعورها بالغضب والعنف تلقائياً في حالة شعورها في خطر وكطريقة لحماية أنفسها أو المحافظة على كيانها في مواقف الفقدان الجديدة التي تواجهها (Green, et al., 2000; Rushiti, 2005).

تُظهر نتائج لدراسة أخرى، نفذت في البوسنة والهرسك (Klaric, et al., 2007)، أن النساء، اللواتي هنّ تعرضاً للصدمة الناتجة من الصراعات السياسية، يعانين من أعراض ما بعد الصدمة ولمدة قد تتراوح عشر سنوات بعد الحرب. هذه الدراسة ودراسة متشابهة (Robertson & Duckett, 2007) توفران وصفاً لسياق محدد لتجارب المرأة البوسنية مباشرة بعد الحرب. حسب هذه التجارب لعبت المرأة دوراً في حماية أطفالها وبالرغم من مشاعر الأسى وغياب الأمل. أي بالرغم من أن المرأة كانت ضحية الحرب، لكنها كانت تملك المقدرة على الاهتمام بأولادها وتنفيذ ما يجب فعله اتجاههم يومياً.

وفي هذا الصدد، من الضرورة التطرق لمفهوم هام وهو "الصدمة الجماعية" أو "الفقدان الجمعي". يمكن في هذا السياق التمييز بين نوعين من الصدمات الجماعية: هناك الصدمات الناتجة من مواقف وأوضاع الصراع المسلح والحروب، حيث تُفرض، وفق هذه المواقف، على المواطنين الأصليين إجراءات هدفها المحافظة على "أمن السكان" من منطلق وجهات نظر وإيديولوجيات الاحتلال أو السيطرة على الإنسان والأرض من منطلق رؤية الضحايا. أما النوع الآخر فهو الصدمات الناتجة من الكوارث الطبيعية وبطبيعة الحال، هنا تشعر الضحايا أن هذه المصائب فرضت عليها. تُنتج هذه الصدمات تغييرات عميقة لدى الأفراد والجماعات والأطر والمجتمعات، وتؤثر بشكل جوهري في العمليات السياسية والاجتماعية التي تؤثر، ليس فقط على المتضررين المباشرين (مثل النساء اللواتي جربن الفقدان)، وإنما على فئات أخرى مثل الرجال والأطفال والمسنين وعلى أجيال قادمة , Peace, Conflict and Development (2008). تُظهر إحدى الدراسات، التي تتطرق لمضاعفات الأوضاع السياسية والصدمات التي تحدث في سياق أوضاع سياسية، أن الصدمات الناتجة من أوضاع الصراع المسلح تُصبح جزءاً من فكر ومشاعر الضحايا وتلاحقهم لسنوات عديدة (Bajraktarevic-Hayward, 2008).

الفقدان والدعم الشمولي

تُنادي النظريات النسوية واتجاهات المساعدة أن يكون المنتفعون فاعلين ونشطين في عملية المساعدة ومن خلال عملية التمكين. إضافة إلى ذلك، تركز هذه الاتجاهات النظرية على القيم النسوية مثل القوى، تكوين شبكات اجتماعية وفهم المواقف من وجهة المستفيدين.

تؤكد دراسات عديدة (Liabre & Hadi, 1997; Drumm, Perry & Pittman, 2001) أن بيئة الفقدان تلعب دوراً هاماً في حياة الفاقدة موازياً بأهميته لتأثير الفقدان نفسه. لذلك فالدعم الاجتماعي الضعيف هو عامل منبئ لاضطرابات ما بعد الصدمة وأقوى من تأثير الصدمة نفسها. إضافة إلى ذلك، فالبيئة الأسرية القريبة تؤثر بشكل واضح على مخرجات الصحة النفسية للفاقدة.

فالنساء هن الأكثر تعرضاً لتجارب الصراع. هذه التجارب التي تمر بها النساء تختلف عن التجارب التي يمر بها الرجال، وبالتالي فالصراعات السياسية والعسكرية توفر للنساء المسؤولية لبناء من جديد للأسرة والمجتمعات خلال وبعد عمليات الفقدان القومي، وهذا هو الطابع الإيجابي للصراع. من هنا تبرز الضرورة في تحديد الحاجيات الخاصة للنساء في هذه الأوقات وفي

توفير الفرص من خلالها تستطيع النساء التعبير عن تجارب حياتية في ظل هذا الصراع المزمع أو الحروب أو الاحتلال (Gardam & Charlesworth, 2000; Somasundaram, 2007).

يبدو هذا الاتجاه هاماً، في المجتمعات الشرقية، التي تنتظر للفرد المتأثر بالثقافات السائدة. يميل الفرد أن يكون جزءاً من المجتمع، لذلك فللكوارث والحروب والاحتلال مضاعفات وتأثيرات أقوى في المجتمعات المجتمعية مقارنة بالمجتمعات الفردية. من هنا فتجربة فقدان هي تجربة أسرية ومجتمعية، من حيث أن مضاعفاتها ظاهرة على المستوى الأسري والمجتمعي (Green, et al., 2003).

تُظهر إحدى الدراسات (Somasundaram, 2007) أن للمواقف الجمعية التي تصيب المجتمعات المحافظة تأثير على الأفراد حيث يصبح الفرد جزءاً من المجتمع ويجرب الصدمات في السياق الجمعي. من الأهمية ملاحظة نقطة هامة وهي أن الأسرة والمجتمع هما جزء من الهوية الذاتية للأفراد ووعيهم وذاكرتهم، حيث من الضرورة التدخل على مستوى الأسرة والجماعات المحلية والمجتمع عامة، وليس الاقتصار على الدعم الفردي وبهدف استعادة الذاكرة الجمعية وتقويتها وكجزء من رد الفعل الجمعي لممارسات الاحتلال المستمرة.

من أجل تطوير تدخل شمولي طويل المدى بحاجة إلى نوعين من التغييرات حسب جوبتا (Gupta, 2008): أولاً- من المتوقع أن تعمل المؤسسات وفق التوجه الشمولي وثانياً- من المتوقع أن تؤدي المؤسسات معاً فاعلاً يُعتبر جوهرياً وموجهاً للمجتمع عامة. في هذا السياق حول الدعم، فالخطوة الأولى الهامة هي قبول الحقيقة أن التدخل الاجتماعي، والذي يؤدي لتغييرات سلوكية، هو في الحقيقة جهد لبناء المجتمع من جديد.

من المعروف ومن الأمور الهامة أن للأوضاع المعقدة والمركبة المرتبطة بالحروب والصراعات المسلحة مضاعفات نفسية ليس فقط على النساء وإنما على الأسرة وعلى المجتمعات المحلية، حيث تؤدي هذه الصدمات إلى تغييرات جوهرية لدى هذه الأطراف وبالتالي فعملية التدخل هي ضرورية غير قابلة للتأجيل (Litsegard, 2008).

يطوي هذا التدخل الشمولي بداخله تدخلاً وقت الفقدان. كما هو معروف فمن أسس التدخل في وقت الأزمات (Dyer, 2005) هو الكشف عن حاجيات ملموسة لدى الضحايا والتفتيش عن طرق من خلالها تستطيع التعبير عن انفعالاتها، العمل على مساعدتهم على مواجهة صراعات يومية والكشف عن موارد دعم داخلية وفي البيئة المحيطة، والأهم هو مساعدة الضحية على الاستمرار في الحياة ومحور هذا التدخل هو المساندة النفسية لضحايا الاحتلال والحروب، والتي تعني مساعدة الأفراد على فهم الحدث الضاعط بشكل أفضل وإمدادهم بالمصادر وأساليب التكيف معه. يكون الدعم بمشاركتهم وجدانياً ومساعدتهم على التنفيس الانفعالي، أو بتقديم المعلومات ومساعدتهم على إعادة تنظيم مشاعرهم وأفكارهم وسلوكهم، وهو ما يُمكنهم من التخفيف التدريجي من الآثار السلبية للحرب، وتقليل ما تخلفه من أعراض نفسية، سواء من الناحية الفكرية أو الوجدانية أو السلوكية (الشمي، ٢٠٠٦). ويبدو أن هذا الاتجاه من التدخل هو ذاتي جمعي

والذي يلزم، لكي نستخدمه، توفير الأدوات والموارد الكافية والضرورية التي تضمن حصول الفاقات على الأمن والدعم الذاتي (Gupta, 2008).

ففي حال تبني هذا الاتجاه الشمولي فالسؤال الذي يُطرح هو: كيف يمكن الوصول للفاقدين والفاقدات؟ يقترح هذا الاتجاه العمل وفق استراتيجية "الوصول للفاقد في بيئتها الطبيعية" (Rochester, 1989). المتوقع فعله، في حال التوصل لاستنتاج بأن السياق الاجتماعي والسياسي يُؤثر على الأفراد والمجتمعات، هو التعامل مع ردود الفعل الثقافية، الاجتماعية والسياسية نحو الأوضاع الصادمة نفسها والعمليات التي تحصل خلالها وبعدها. بالتالي، فيقترح التوجه الجمعي (Kostelny, 2006) العمل مع النساء الفاقات بالتطرق لخمسة مستويات: النساء كنتاجات او فاقات، أفراد الأسرة (خاصة الأزواج والأطفال)، أفراد المجتمع المحلي، وموفري الخدمات الاجتماعية، والمجتمع عامة.

يضمن هذا الاطار الجمعي الشمولي تمكين النساء من خلال بناء موارد مجتمعية وعلاقات اجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، فالعمل، بمرافقة الأطراف المجتمعية، يوفر بيئة ضرورية للتعامل مع فقدان النساء ولكن ليس بمعزل عن السياقات التاريخية، والسياسية، والاجتماعية، والنفسية التي أنتجت وأفرزت هذا الفقدان (Conner, 2005; Kostelny, 2006)، والتعامل معها كجزء من عملية الدعم ومن خلال توعية الفاقات لتجارب ذاتية، وجماعية، وجمعية وتحليل هذه التجارب من منطلق هذه السياقات.

تُظهر دراسة توثيقية من أوغندا، على سبيل المثال، تجارب النساء في أوضاع من الصراع المسلح، الأدوار التي يلعبنها، وكيفية التعامل مع هذه الأوضاع من منطلق أن عملية توثيق التجارب تدعم الذاكرة الجمعية. من أهم نتائج هذه الدراسة هي أن عملية توثيق واقع النساء تعطي الفرصة للنساء في مشاركة هذه التجارب مع العالم الخارجي والوعي لعملية مشاركة الأخريات بالألم، التي بدورها تساعد على تحسين التواصل مع الذات، مع الجماعة ومع البيئة ومن خلال الاستماع للنساء الفاقات ومباشرة بعد وقوع الفقدان (World summit on the information society, 2005).

تظهر تجربة ضحايا الحروب في كمبوديا، كمثال ثان، أن التدخل طويل المدى يساعد الفاقات على الكشف وعلى توضيح طرق لإدارة الصعوبات النفسية. يمر العمل ضمن هذا المشروع بمراحل متشابهة للمشروع الذي نتناوله: إجراء تدريب الطاقم العمل في المشروع، اختيار مناطق التدخل وثم اختيار المناطق الأكثر تعرضاً للفقدان السياسي، الكشف عن ضحايا العنف السياسي في كل منطقة من خلال إجراء مقابلات منظمة مع الضحايا وبهدف تحديد ضحايا يعانون من عوارض الفقدان. من ناحية التدخل فقد تم إجراء لقاءات دعم فردية وجماعية لجميع ضحايا العنف السياسي. استخدمت هذه الجلسات تقنيات العلاج المعرفي الانفعالي في حين أن هدفها هو مساعدة الضحايا على فهم مصادر عوارض الفقدان، التخفيف من حدة التوتر والقلق الناتجة من النزاعات (Hinton, Navarro, & Pointe, 2006).

التجربة الأثيوبية، كمثل ثالث، تتعامل مع ذكريات رمزية حيث إن المجتمعات خلال الصراع المسلح تمر بتجارب وهذه التجارب تصبح ذكريات يعبر عنها بطرق مختلفة مثل القصص. ركز اتجاه التدخل على إعادة الهوية الذاتية للفاقدين، الهوية التي هي ليس فقط شأن فردي وإنما هي انعكاس للمجتمع الذي يعيشون فيه. تم البدء في تحليل وعلاج الصدمة الفردية والبدء منها، وبالمقابل تم تمكين الفاقدين من خلال بناء من جديد للهوية القديمة أي تكوين هوية جديدة المستندة على الهوية القديمة والتي هي قوية بشكل كاف التي تضمن تطوير الحل الذاتي للفقدان الحالي والتحصين لأي فقدان قادم (Trapman, 1997).

أما التجربة الفلسطينية فتتعامل مع فقدان وفق نهج من فاقدة إلى فاقدة ووفق البحث الميداني النسوي ذي المنحنى العملي (Españoli, & Aweidah, 2007). أي العمل من داخل المبنى العاطفي والنفسي للثقافة، بالإضافة إلى إزالة عنصر القوة والسلطة في العلاج، مما يجعل الدعم النفسي صادقاً وفعالاً. يستند هذا العمل على سياق عملية الإخراص والصمت في موضوع فقدان داخل الأسرة الفلسطينية في حالات الحرب، كما تعبره عنه دراسة أبو بكر، كيفوركيا، عويضة وضبيط، (٢٠٠٦): "يدور الإخراص في مواضيع منع التعامل مع ادوار النساء كأدوار سياسية والمحافظة على توصيفها كأدوار عاطفية وأيضاً يوجد إخراص للأصوات العاطفية الامومية الطبيعية التي تود النساء الإفصاح عنها بخصوص فقدان". بالتالي، تم النظر وفق هذا النهج للنساء ككيان حقيقي قائم بحد ذاته، حيث كن الداعمات والميسرات حول طرق مواجهتهن لواقع الاحتلال.

نتائج الدراسة

من أقوال فاقدة داعمة: "بدأت العمل وأصبحت أتعرف على مشكلات كل سيدة أزورها وأعرف ما تعاني كل واحدة منهن وكيف تتصرف كل سيدة مع عائلاتهن، فمنهن من كانت تتعامل مع أبنائها بالضرب، ومنهن بالصراخ ومنهن بالحرمان ومنهن من لا تتحمل زوجها لا بكلام ولا معاشرته، ومنهن من لم تعرف كيف ترتب نفسها أو بيتها ومنهن من لا تعرف كيف تجري الحياة بها. فمن خلال لقاءاتنا عملنا على كل هذه المواضيع... أحسست بقيمة نفسي، فأنا لم اعرف أنني محبوبة من قبل الناس ولا اعلم أنني أمشي في هذه الدنيا بالاتجاه الصحيح".

هذه الكلمات عبرت عنها داعمة فاقدة، ولكنها تعكس مدى التحول الذي حصل لديها من فاقدة أسيرة لفقدانها لداعمة فاقدة تحررت من أسرها، لتشارك الأخرى في تجربتها. نتطرق نتائج الدراسة لوضع المرأة الفاقدة خلال أربع مراحل: قبل فقدان، خلال فقدان، خلال الدعم وبعده.

المرأة قبل فقدان

التطرق للمرأة الفلسطينية قبل فقدان هو تطرق لمكانتها الاجتماعية، والثقافية، والسياسية والاقتصادية في مجتمع تحت الاحتلال.

إن الدور الأول للمرأة كما تراه هو صيانة أسرتها، والشعور بمعزة البيت "البيت مثل الابن لنا" وهي تقدر الزوج وتنتظر إليه مثابة رب البيت، وتحافظ على أولادها "مبسوطة لأن زوجي أكمل دراسته الجامعية" وتشعر ببعض الخوف على الشباب الذين في البيت بسبب الأوضاع اليومية ولكن تعيش وتفكر بمستقبلهم "كنا نحضر له عشان بدنا نخطب له". وبألها مرتاح وتقوم بجميع واجباتها المنزلية "أطبخ لولادي وأنا فرحانة".

أمورها الاقتصادية مقبولة "كل شيء موجود بالبيت"، حيث المعيل الأساسي لها هو الزوج، وأحيانا وجود الزوج مع زوجته وأولاده، حتى لو كان عاطل عن العمل، كان يخفف عن زوجته الكثير من الهموم ومن مسؤوليات الأولاد.

المرأة وهي الأم التي تقدم المساعدة للأولاد، بهدف تحسين الظروف العائلية "أساعدهم في جميع الظروف لأصل بهم إلى بر الأمان". فالوضع مستقر من وجهة نظرها: وجود هدوء وأمان "كانت حياتي طبيعية جدا ومبسوطة" والشعور براحة نفسية وسعيدة لحضور الزوج معها، الذي يقف إلى جانبها ويتحمل كل منهما المسؤولية: "أشعر أن زوجي حماية لي من مصاعب الحياة".

تعاني بعض النساء قبل الفقدان من مشاكل اجتماعية كثيرة مثل الطلاق وما يترتب عليه من مشاكل أخرى مثل حضانة الأولاد وتشتتهم بين الأب والأم، وتحمل مسؤولياتهم ورفض أهلها لوجودهم معها أو مشاكل مع أهل الزوج، وهذه الظروف هي التي يعشنها بعض النساء في ظل الاحتلال. فالمرأة عامة تعيش، قبل الفقدان، حياة مستقرة مع زوجها وأولادها وأهلها وأهل زوجها وجيرانها، والتوترات هي من الأمور الطبيعية التي يعاني منها أي إنسان الذي يعيش ظروف احتلال.

لكن المرأة الفلسطينية تعاني من توترات وقلق، ليس فقط بسبب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها كل أسرة فلسطينية، وإنما بسبب أن زوجها أو ابنها مطاردي، أو معتقل، أو مصاب، أو شهيد، أو بسبب هدم بيتها، أو بسبب الفقدان المتعدد، حيث تُعتبر هذه الفترة هي فترة الفقدان وما يصاحبها من صدمات وأعراض.

الفقدان الذاتي الجمعي

تختلف ردود الفعل في كيفية استقبال النساء للحدث، فمنهن من تقبلته بالصراخ والبكاء والطم، ومنهن من صممت برهة ثم انفجرت بالبكاء، ومنهن من صممت لفترة أطول فتقبلت الصمت ولم تع ما حدث، وبعدها بدأت حرقه في القلب والمعاناة، ومنهن من استقبلت الحدث بشكر الله على ما حدث وعلى نيل ابنها أو زوجها الشهادة فأكثر في الصلاة والعبادة.

هناك شعور بالحزن الدائم والتشاؤم المستمر والاكتئاب بعد الفقدان "أسودت الدنيا بوجهي وكلما خرجت من مصيبة أقع في أخرى"، بالإضافة إلى الشعور بالإحباط وعدم تحمل الوضع والحياة بسبب تكرار الفقدان "تعبت وتحمل صار عندي صعب بسبب ما مررت به من أحداث صعبة أنا وولادي". وفي أوضاع كثيرة تشعر الفاعقات بمسؤولية كبيرة تجاه الأولاد خاصة بعد فقدان الزوج، وعبء البيت ومسؤولياته، والشعور بالوحدة والحزن المستمرين والإصابة

بالأمراض الجسمية المزمنة "صار الحزن مستمراً عندي وسبب لي الضغط"; "مع الزلزال صار عندي غدة"; "وضعي سيء أشكي من كل شيء وأذهب للطبيب كثير".

يترك فقدان أثراً ملموساً لدى الفاقدة وينهك قواها وتصبح عصبية لا تؤدي لأعمال المنزل، مثل الطبخ "بطلت اطيخ الطبخ اللي بحبو ابني"، وفي حال قامت به يكون ذلك رغماً عنها "أي شيء بدي أعملو بعملو بدون نفس". ونساء امتنعن عن التواجد في الأماكن التي اعتدن التواجد بها "صرت مريضة وبوخذ دواء، وما اطلع على السطح لأنه كان ينام هناك". كذلك تفكر الفاقات دائماً بالفقدان "ما بروح ابني من بالي" حيث تفكر باستمرار في الشخص الذي فقدته، وبملابسه وطعامه وبطباعه، وهناك الشعور الدائم بالخوف من تكرار الفقدان أو وجود فقدان من نوع آخر وعدم القدرة على النوم بسبب الاضطراب الذي يصيبها من تذكرها للفقدان. هذه الاضطرابات مرافقة لفقدان القدرة على الإحساس بالفرح في حال وجود مناسبة مفرحة لأحد أفراد عائلتها "لما تجوز ابني ما فرحت لأنو ابني الثاني مش موجود، الفرح بعده راح".

لم يكن لدى النساء قدرة التعبير عن حزنهن بعد الفقدان، حيث تغيرت الحياة من جميع النواحي ومع المحيط الذي تتعامل معه: "حياتي تغيرت تماماً في المجتمع ومع أهل البيت ومع نفسي ومع المحيط"؛ "لا أبالغ إن قلت أنني مت في اللحظة التي سمعت بها خبر استشهاد زوجي... حياتي انتهت في تلك اللحظة".

وكلت للفاقدة مهام جديدة في البيت بشكل خاص وفي الحياة بشكل عام، وأمضت وقتها محاولة زيارة ابنها في السجن، حيث تعاني من طول مدة إصدار التصاريح والتنقل بين السجن. في حال وجود إصابة، فإنها تتابع وضعه في المستشفى.

تُظهر البيانات، من ناحية علاقة الفاقدة مع زوجها، تناقضات وفروقات كثيرة. فبعض الفاقات لم يشعرن بالاستقرار في العيش بدون الزوج خاصة في حال اعتقاله، أو استشهاد. وفي حال اعتقال الزوج فإن الزوجة، في أغلب الأوقات، تُمنع من زيارته لأسباب يربطها الاحتلال بمبرر "الأمن" وأحياناً أخرى تكون الزيارات قليلة. أما في حال إصابته فهي تركز حياتها له ولمساعدته والتخفيف من ألمه بالرغم من شعورها هي بالألم. وإذا كان الفقدان إصابة أو اعتقال أو استشهاد ابنها فإن ذلك يؤثر على علاقتها بزوجها، حيث تُصبح ضعيفة "تقلصت علاقتي به، حتى اللباس والمكياج والاهتمام به مثل أول، كل تفكيري هو ابني". جزء من الفاقات يشعرن بعدم القدرة على استرجاع العلاقة السابقة مع الزوج "مش بالسهولة أرجع طبيعية مع زوجي لأن ابني هو كل شيء بحياتي". حيث يحاولن التصرف مع الأزواج بشكل عادي ويعشن حياتهن معهم ولكنهن غير قادرات على ذلك "بحاول أن أكون طبيعية معه لأنه هو ما بقدر يفرغ مثلنا وبخاف عليه لأنه مريض" أو "بحاول يواسيني ويمزح معي بس أنا ما بتقبل" أو "نفسيتي تعبانه ما بطيقه، في بعض الأحيان ما يعطيه حقه ... مش بخاطري".

من ناحية ثانية، تصبح الفاقدة عصبية ومتوترة خلال التعامل مع الأولاد، وهذا ربما ينبع من كثرة الخوف عليهم "صرت عصبية كثير معهم وأضربهم بسبب ومن دون سبب"، ولا تتحمل أي نوع من الإزعاج "لما يتقاتل أولادي مع بعضهم بطلع من البيت". هذه "العصبية

الزائدة" في التعامل مع الأولاد مرافقة بالشعور بعدم القدرة على تربيتهم. تتوافق هذه الأعراض مع الخوف الكبير عليهم حتى لا يلحق بهم أي أذى نتيجة الفقدان، أو نتيجة الوضع غير المستقر داخل البيت سواء في الجانب النفسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي "أخاف على أولادي يروحوا ولا يجوا لأنه تعقدت، ودايما خايفه". كانت الفاقدة، في حالات أخرى، تفضل الاهتمام بابنها أو زوجها المصاب حيث كان من الصعب عليها أن تهتم بأبنائها الآخرين في بداية فترة الفقدان وترعاهم، خاصة في حال وجود إصابة للزوج أو أحد الأبناء "اهتمامي بابني المصاب أكثر منهم ودايما قلقانه عليه".

ما تستنتج الدراسة، من خلال مراجعة البيانات، أن الفاقدة تعيش حياة تتسم بالتناقض، ففي الأحيان تظهر عدم قدرتها على إزعاج أولادها أو الصراخ بهم ولا تمنع عنهم شيئاً، وأحياناً أخرى كان هنالك تغير نحو إهمال الأولاد خاصة بعد الفقدان مباشرة "مش صاحية عليهم ما أهتم بدراستهم ولا بأكلهم ولا شربهم بس بمصيبيتي بفكر".

من ناحية العلاقة مع الأهل فلا يمكن التوصل لاتجاه معاملة واحد، وهذا أيضاً من مميزات التواصل خلال الفقدان. فجزء من الفاقات انقطعن في تواصلهن مع أهلهن لمدة طويلة خاصة بعد الفقدان، فالزيارات أصبحت تقتصر على المناسبات. تعطي فاقدة تفسير لذلك حيث بسبب حبها للوحدة والهدوء والعزلة: "قلت الزيارات إلى الأهل وصرت أحب أن أجلس لوحدي". بالمقابل، يحافظ الأهل على التواصل معهن ويواسيهن باستمرار كما قالت فاقدة: "بعد استشهاد ابني بطلت أزور حدا أهلي هم بزوروني وأهلي بيجو عندي بس انا بروحش عندهم حتى على عرس ابن أخوي ما رحتش".

واقدة أخرى تعطي تفسيراً لعدم زيارة الأهل: "كنت دائماً في بيتي ومع زوجي وأنا ما بقدر أزور حدا... ولما صابني الهم والحزن والاكتئاب بطلت أزور أهلي". وأحياناً أخرى كان من الصعب على النساء التواصل مع الأهل بسبب بعد المسافات بينهم، أو بسبب سلطة أهل الزوج عليها ومنعها من الخروج. وهناك فاقدة التي فقدت ابنتها تشعر بأن أهلها يلومونها على ما قامت به ابنتها ولا يراعون وضعها كأم "أحياناً ينظرون لي بعين اللوم وأحياناً بعين الشفقة" فهم لم يتوقعوا هذا الفعل من قبل فتاة والنتيجة كانت مقاطعة الأم "مقاطعة ابدية لأنهم يعتبرون هذا عيب يطلع من بنت الاستشهاد".

تتميز العلاقة مع أهل زوج الفاقدة بعدم الثبات. تُظهر البيانات وجود ثلاثة أنواع من ردود فعل أهل الزوج لفقدانهم: يتميز النوع الأول بالمساندة والدعم المعنوي والمساعدة في تربية الأولاد وتقوية العلاقة، وأواصر المحبة بينهم وزيادة تواجدهم بالقرب من الفاقدة "يدعوني بالكلام الطيب يتمنون أن الله يعوض كل شيء راح". تشعر الفاقدة أن أهل زوجها اهتموا بها كثيراً بعد الفقدان وتعاطفوا معها بشكل كبير "وقفوا بجانبني كثير بعد استشهاد أولادي وهمي هو مهمهم". نوع آخر يتميز بالعلاقة التي يسودها التوتر قبل الفقدان وما بعده. في هذه الأحوال، لم يوفر أهل الزوج لها أي اهتمام أو مساعدة. لا يوجد دعم مادي من قبلهم، وفي أحيان قليلة لا يوجد تواصل معهم، خاصة قبل وقوع الفقدان حيث تحاول الفاقدة تجنبهم. تشعر الفاقدة أنها لا

تعاديهم ولكن تشعر بالغضب تجاههم "بحبش أروح عليهم لأنهم هم السبب في حرمانني من البيت بسبب أنانيتهم". ومن الممكن أن هذا الغضب نابغ أيضا من تجارب سابقة أو تجارب ما بعد الفقدان، وخاصة محاولتهم للحصول على المال الذي تركه الزوج أو النزاع حول "معاش" الزوج أو الابن. ونوع ثالث من التواصل المحدود حيث بقيت العلاقة تعكس البعد وفي نفس الوقت عدم التدخل: "كل واحد بحاله وعلاقتي فيهم ظلت منيحة" فالفاقدة لا تتبادل الزيارات معهم بسبب وضعها النفسي "ما حدا بقيم عن حدا إشي، بيجوا عندي بس أنا ما بروح".

علاقة الفاقدة مع جيرانها بشكل عام قوية في حال الفقدان، فـ "الجيران مثل أخواتي كانوا معنا دائما". من هنا يلعب الجيران دوراً هاماً في تكيف الفاقدة والتخفيف عنها، والوقوف بجانبها ومساندتها والتعاطف معها "أصبح وضعي أحسن لتعاطفهم ووقوفهم معي وقت المصايب ... أصبحت أروح أكثر عندهم لأنني بحس براحة نفسية وبحب أحكيلهم كل شيء".

بشكل عام، تظهر الفاقات مشاعر مختلفة. فالدعم المعنوي والعاطفي الموجه من البيئة وقت الفقدان يقلل من حدة الصدمة لدى النساء الفاقات، ويولد لديهن شعوراً من التضامن والمساندة، حيث تبين البيانات، التي تم جمعها من الفاقات، أن العلاقة الاجتماعية بين النساء الفاقات لأبنائهن أو أزواجهن أصبحت قوية في أحيان كثيرة وتحولت مشاعر الفقدان إلى تقارب وتبادل للزيارات، مما أدى إلى تخفيف من حدة الصدمة والتقليل من تطور اضطراب ما بعد الصدمة لديهن. من ناحية أخرى، تؤكد هذه البيانات أن لدى أغلبية النساء الفاقات غياب الرغبة في الخروج من البيت للزيارات العائلية العادية والمجاملات الاجتماعية التقليدية، مثل زيارة الجيران، المشاركة في الأفراح أو أية مناسبة أخرى، بتبرير أن فقيدهن هو أعلى ما يملكن، في حين أن معظم الفاقات لن تذكر أي مساهمة أو دور للمؤسسات الاجتماعية في المساندة والدعم.

ردود فعل أفراد الأسرة (أبناء، بنات وزوج) أو الحماة أو الجيران هي متشابهة. جميع الذين تم مقابلتهم من أفراد الأسرة يوفرون بيانات حول الصعوبات التي تعيشها الفاقدة. الانطباع القائم أن الفاقدة هي الأساسية التي تعاني من الفقدان وان الفقدان تابع لها فقط. أغلبية ردود الفعل تعبر عن التعاطف، عن الحزن والأسى وعن المساندة والدعم.

يركز جزء من ردود الفعل على ماهية التغييرات التي حصلت لدى الفاقدة على مستوى الأفكار والمشاعر والتصرفات. تقول ابنة فاقدة إن أمها "مدمرة ومعصبة ومشتتة ودائمة الارتباك والخوف وعدم مسيطرة على نفسها ومندهشة ولا تتكلم مع الناس". هنالك الشعور أن الفاقدة تُظهر تناقضاً فتارة تتصرف هكذا وتارة أخرى تتصرف هكذا "تتصرف بهدوء مرات وبعصبية مرات" أو "عندها غموض وتحفظ وما تحكي بصراحة". الجملة التالية تعكس وضع الفاقدة كما عبر عنها ابنها "امي دائما زي الضائعة مش عارفة شو تعمل. تفكر دائما بانها اللي في السجن".

يتوفر الإدراك أن أدوار الفاقدة تغيرت وأنها أصبحت حنونة أكثر. فهي تفكر في هموم أسرتها بالرغم من العصبية وهذا هي من ميزات الفقدان فهي "عصبية ولكنها حنونة جدا".

ويقول ابن لأحدى الفاقات "امي لا تظهر الألم ولكنها تظهر الاهتمام"، ويعكس هذا المثال قوة الفاقدة ومسؤوليتها بالرغم من ألمها وحزنها فهي "تفكر كيف ممكن تقوم بدور الأم والأب"، وفي أحيان تلقي المسؤوليات على الآخرين وخاصة على الأبناء فهي "بتتعامل معي على اني رجل وبتطلب مني أشياء اكبر من سني". وفي أحيان تهمل الفاقدة دورها الأساسي "اهملت شؤون البيت بعد اعتقال الاخ". وفي أحيان تعاني من عدم قدرتها على تحمل المسؤوليات فهي "بتعاني من عدم وجود والدهم داخل البيت وتحس بالنقص من عدم وجوده".

تختلف ردود فعل الفاقدة باختلاف نوع الفقدان- هذا ما عبر عنه أفراد من أسرتها. من الطبيعي أن يكون الاستشهاد من أصعب أنواع الفقدان، كما عبر عن ذلك الزوج "تتأثر باستشهاد أي واحد، تفضل اعتقاله محل الاستشهاد" أو كما عبرت عنه إحدى بنات الفاقدة " تمسك الصورة وتكي ما بدها تحاكي احد وكانت تفكر كيف بدها تربي بناتها" أو "عندما يتصل أحد تركض على الجوال بتكون تفكر طول الوقت فيه وتنادي عليه وعلى اخته".

إن شعور الفاقدة بالذنب هو اتجاه مسيطر في أذهان أفراد الأسرة، فحسب رأيهم أن الفاقدة تشعر أنها السبب باعتقال ابنها أو ابنتها "تحطمت معنوياتها بسبب الاعتقال وصار لديها تأنيب ضمير بانها السبب" أو "تفكر دائما بالأسير وتقول انه هسا بدون اكل... تشعر انه في احد ناقص".

يُدرك أفراد أسرة الفاقدة ل نقاط قواها بالرغم من الوضع الذي تعاني منه. فزوجها يقول: "حذرة وتحب الناس ولكنها تحب العزلة في البيت"، وزوج آخر يقف أيضا بجانب زوجته الفاقدة ويدعمها "كانت عصبيتها أقل وكانت تتوقع اني انا افضل واحد ممكن تحكي معه". وابنتها تدرك انها "بنظرة قلقة خائفة على مستقبلي وحابة تنظمن علي كوني مش متجوزة"، أو البنت الكبرى التي تشعر أنها "تتعامل معي بطريقة غير اخوتي لانني اكبر بنت في البيت وبتحكي كل شيء وبتستشيرني بكل شيء". وابنة اخرى تقول: "تتصرف مع الناس بطيبة وتهتم بالآخرين"، وحماتها تقول "تعطف على الكبير والصغير فهي تحترم افراد الاسرة وتتعامل معهم بالحسنى"، وابنها يقول انها "اجتماعية وعاقلة وتقدر تنكيف مع مختلف العقول" وزوجة ابنها تقول "تتصرف مع الناس بحدود وزادت الطيبة مع اهل الدار بعد الفقدان". تعكس هذه الأمثلة إدراك ووعي الأهل لتصرفات ومشاعر وأفكار الفاقات.

حاجيات وتوقعات الفاقات اتجاه تجربة الدعم

تتوقع الفاقدة أن يوفر لها الدعم الأمل في الحياة، والتخفيف عن شعورها بالوحدة أو الإحباط "ممكن تخفف عني وتعطيني أمان، أنا حاليا حاسة بالإحباط وبحاجة لحداد يدعمني ويخفف عني وأحكي ما بداخلي". تشعر الفاقدة أنها مستضعفة، وبالتالي فهي تتوقع من عملية الدعم أن تساعدها لكي "تصبح قوية"، وتشعر أنها بقوة المعرفة "تعلم أشياء ومعلومات جديدة" وتستطيع التعامل مع فقدانها وتستطيع تقوية مناعتها في حال مواجهة خبر فقدان جديد. وفي أحيان تشعر الفاقدة أنها قوية، فهي تريد أن تتحدث، وتريد أن تعبر عن تجاربها، وتريد "التحدث عن زيارات

السجون وفقدان الأولاد للأب، وإصرارهم على زيارة القبور". تعبر فاقدة أخرى عن ذلك بقوة وبداخلها طاقة ضخمة فهي تريد الحديث عن الشهادة والإصابة "بحب أحكي عن الشهادة والأولاد وعن الإصابة، أنا أيضا تصابيت بايدي وزوجي تصابوب بكتفه، ما بتفرق معي المهم أن أحكي مع الجميع عن ابني".

وتشعر فاقدة أخرى بالضائقة وتدرك أن أولادها بحاجة لها وهي بحاجة لهم، ولكن لا تعرف كيف تتعامل معهم وهم لا يعرفون كيف يتعاملون معها. فهي تتوقع أن تعرف كيفية التعامل مع الأبناء خاصة "بدي حدا يساعدي مع أولادي"، أو "أنا بشعر اني بظلمهم كثير بالضرب"، ولهذه الاقوال معنى عميق فالفاقدة واعية وتريد أن تتغير ولكن تشعر أنها بقواها الذاتية لا تستطيع تحقيق ذلك، وبالتالي هي تتوقع مساعدة خارجية لأناس من حولها "الشعور بان الناس معها وتشعر بها وبجزنها"، وهي بحاجة إلى التعرف على نساء مثل وضعها وسماع تجاربهن والتعرف على مجموعات وإقامة علاقات اجتماعية معهن، حيث من خلال مشاركة النساء في تجاربهن والتعرف على مشاكلهن تستطيع أن تخفف عن مشاكلها. تؤمن بعض الفاقدات أن للمجموعة أثر على تقديم الدعم النفسي والمعنوي لهن ومساعدتهن الشعور بالراحة النفسية "ممكن أن أشوف مصيبة غيري وأقول ان الحمد لله أنا أحسن من غيري". وفاقدة تشعر أنها قوية وبالتالي فهي تريد التحدث عن همومها لكي تستفيد منها باقي الفاقدات: "التخفيف عن الهموم والتوترات الداخلية ومحاولة مساعدة الآخرين بطريقة ما". تلخص فاقدة دورها المستقبلي في ظل الوضع الفلسطيني: "انا على استعداد لدعم الأخريات دائما لان هذا يجعلني اشعر أنني متميزة، وهذا دور مهم ونحن في مجتمعنا المحاصر للاحتلال والعدوان في أمس الحاجة لهذا النوع من الدعم، لان المرأة في فلسطين تقدم كل شيء ولا تجد من يقدم لها الدعم المعنوي والنفسي".

هل يوافق الأهل رأي الفاقدات من ناحية الحاجيات والتوقعات؟؟

يتوقع أفراد في الأسرة، وخاصة الأبناء والزوج، أن الفاقدة على المستوى الذاتي، بحاجة إلى التعبير عن الحزن والتعبير عن التجارب، وأن تصبح صبورة وأن تخرج من العزلة، لان الفلسفة التي يعتمد عليها زوج إحدى الفاقدات هي "تشوف مصائب الغير وتهون عليها مصيبتها". الرأي السائد هو ان الدعم يقلل من خوف وفزع الفاقدة المستمرين ويُغير نمط حياتها و"ممكن أن تغير ملابس الحداد، ممكن تفكر بشيء تاني غير الموت والاستشهاد".

أما على المستوى الأسري فالاعتقاد هو أن يؤدي الدعم إلى شعور الفاقدة بالأولاد والزوج أكثر تفاؤلاً وأملًا والشعور أنها ليست وحيدة وليست مهمشة في البيت وخارجه " تصير تعرف كيف تتعامل مع اولادها ومع اهل زوجها وجيرانها". يلخص ابن أهمية مشاركة أمه في لقاءات الدعم حيث يقيم منفعة هذه اللقاءات بالجهرية فيقول: "تتعلم خبرات جديدة ويقل توترها وتستعيد التوازن الطبيعي للأسرة. تصير تفكر انه مش بس هي المهمومة ويعلموها تدير بالها على أولادها".

وعلى المستوى الاجتماعي، يتوقع ابن أن أمه بحاجة إلى الاختلاط مع الناس ويرى أن دوره هو تشجيعها الخروج من البيت. وابنة تتوقع أن أمها قوية وبالتالي فهي "تستطيع مساعدة الآخرين في الأزمة". يتذكر الزوج وضع زوجته قبل فقدان فيقول: "بتعود للزيارات الاجتماعية والمخالطة كما كانت من قبل الاعتقال". يلخص زوج آخر أهمية مشاركة زوجته في لقاءات الدعم فيقول: "الشعور بالراحة، ترتاح وتتعرف على مشاكل الأخريات وحتى تهتم بأولادها وتزور الناس وتساعدهم".

هذه هي الآراء السائدة التي تتصور أن للدعم فائدة ملموسة على مشاعر وأفكار وتصرفات الفاقات أكان على المستوى الشخصي أو الأسري أو الاجتماعي. لكن هنالك الآراء الهامشية ولكنها هامة التي تؤمن أن الفاقدة لن تتغير، فابنة فاقدة "لا تتوقع أي تغيير لأنها تبكي وهي حزينة" وابن يعتقد "انها لن تتغير لأنها ترفض الخروج من البيت"، وزوج فاقدة يقول: "لا احب ان تشارك في مجموعة دعم لأنني بحب اشوفها دائما في البيت".

عملية الدعم الشمولي

تستند عملية الدعم، كما ذكر سابقا، على ثلاثة أنواع من الدعم، التي تعتبر أساس التجربة:

لقاءات الدعم الفردي

يستند هذا النوع من الدعم الى فكرة توجه داعمة قديمة وداعمة جديدة معا لبيت فاقدة جديدة وبعد السماع عن فقدانها، حيث تُوفر الداعمة للفاقدة فرصة التعبير عن فقدانها. خلال هذه اللقاءات، وكمثال تسترجع "أم عارف" فقدانها بصوت عال مع الداعمة: "دايماً بحلم بالطيارات بتقصف دارنا ما بركز باشي كل شي بنسائه، دايماً بشعر برعب، مش من قليل صرت اوخد دواء، ما يطبق أهل البيت لا زوج ولا أولاد صرت اضرب أولادي". من الأهمية التأكيد أنه ليس من السهل أن تعبر الفاقدة عن فقدانها وفي أحيان كثيرة تكون هذه مهمة صعبة، ولكن بتواجد الداعمة وبتهيئة الظروف المناسبة قد تنجح في ذلك. فعملية تعبير الفاقدة عن وجدانيا تُعتبر عملية دعم بحد ذاتها.

تعكس قصة "أم شفيق" حول ابنها مثالا لعملية التعبير الوجداني، حيث قالت: "ماذا أقول وماذا احكي فانا عشت حياتي تعيسة جدا، وتزوجت من رجل فقير الحال وغير مبالي بالحياة، وكان صاحب كأس كل همه الشرب وعندني خمس بنات وولدان ولا يوجد في البيت ما يسد رمقنا جميعا، فابني شفيق بعد البنات الخمس وكان أول فرحتي. كبر شفيق وذهب إلى المدرسة وكان غالي جدا علي، مرت الأيام والسنين وكبر حتى اصبح (١٥) عاما، وبدأ يفكر في ترك المدرسة والعمل ليساعدنا ... وتعلم الخياطة وبدأ يتحسن حالنا، وفي يوم رفعت ابنتي السماعه وقالت من؟ وفجأة صرخت ورميت بالهاتف أرضا، فقلت لها ماذا حصل؟ قالت لا شيء!! صرخت عليها وقلت لها قولي ماذا حصل هل مات محمد؟ بكت ولم تقل شيئا".

ومثال آخر يعكس عملية التفريغ الوجداني لـ "أم ليلي": "في ليلة السبت الساعة الثانية والنصف جاءت قوات الاحتلال الاسرائيلي الى الحي، طوقوا المنطقة وفتشوا بيوت الجيران

وفي الساعة الخامسة كانت جميع اسطح المنازل والشوارع في الحي تعج بالجنود، قرعوا الجرس واخذوا يضربون على الباب الخارجي قنابل مضيئة. وقلت لهم ماذا تريدون؟ قالوا: اخرجوا جميعكم وأيديكم فوق رؤوسكم ومعكم الهويات... خرج زوجي وابن ابنتي الارملة والتي تسكن معنا في المنزل ففتشواهم وواقفهم على الحائط. ليلي ابنتي تعمل في جريدة... قلت لهم ماذا تريدون من ليلي؟ واخذوا ليلي... فابني شهيد وابنائي كانوا يسجنون إداري". ما يشد الانتباه هنا هو قوة إرادة الفاقدة خلال السرد وشجاعة وجرأة الداعمة. فالدعم الفردي يوفر للفاقدات فرصة التعبير عن صعوبات ما بعد الفقدان. إضافة الى ذلك، تتحدث الفاقدات مع الداعمات عن التغييرات التي تحصل بعد الفقدان والدعم، فالفاقدات أصبحن هن المسؤولات عن تربية الأبناء، وتحمل الأعباء المالية لتلبية متطلباتهم، وكذلك الذهاب الى المؤسسات المعنية لمتابعة أوضاع زوجها وأبناها.

لقاءات الدعم الجماعي

يعتبر الدعم الجماعي من طرق التدخل الضرورية التي تعزز عناصر ومركبات غير متوفرة في الدعم الفردي. من مميزات الدعم الجماعي انه يوفر تفاعل، من خلاله يتم التعبير عن تجارب الفقدان في مواضيع متنوعة، ويوفر تطوير لمهارات تعامل ثابتة بين مجموعة من الفاقدات خلال فترة زمنية محددة. يُنمي هذا الدعم قدرات الفاقدات للتعبير عن الفقدان، فتعبير فاقدة عن فقدانها يُشجع فاقدات أخريات التعبير عن فقدانهن أيضاً. تعكس هذه التجارب المختلفة مدى وعي الفاقدات للفقدان، وتضمن تعزيز ذاكرة الفقدان والهوية المنسية لديهن.

تعكس الأمثلة التالية تفاعل جماعي في قضايا الفقدان المختلفة. فحسب هذه الامثلة، تعكس كل فاقدة أمام باقي الفاقدات ما يضايقها: "ام النور" كانت حزينة في وصف الحدث "بدمك تفتحو علينا المواجه" و"كوثر" في البداية رفضت كلمة فقدان باعتبار انها فقدت ابنها للابد. اثناء وصفها لاعتقال ابنها صارت تضغط على يديها وتبكي بحرارة. "ندى" التي تلقت خبر وفاة زوجها واستشهاد اخيها وصفت الحديثين بصعوبة تامة وتحدثت متوترة وخائفة. "البنى" تحدثت بألم عن ابنها لأنه طفل ولم تكن متوقعة اعتقاله في يوم من الأيام بسبب مشاركته في مركز للسلام، وقالت: "الونو مات ولا اعتقل". بالمقابل، تحدثت "ابتسام" بحرارة وتوتر على ابنها المعتقل للمرة الثالثة بدون معرفة مصيره، و"مريم" متأثرة باعتقال ابنها وخائفة على مستقبله. تعكس هذه الامثلة أموراً كثيرة فهي تُظهر كيفية تعامل مجموعة من الفاقدات حول قضية واحدة خلال اللقاء، وكيفية تقديم التوجيه من فاقدات لفاقدات أخريات وكيفية تدخل الداعمة القديمة والداعمة الجديدة وماهية التواصل الذي يطرره أفراد الأسرة مع المعتقل أو المصاب.

للمجموعة تأثير جوهري في تغيير أنماط سلوكية مألوفة مرتبطة بالفقدان. يظهر المثال التالي مدى استطاعة الداعمة تغيير سلوكيات اعتادت الفاقدات ممارستها. "الداعمة: شو رايك انه احنا نسمح لاهل الشهيد ان يجلسوا بمكانه ويلبسوا لبسه؟ نعم: انا ما بحب أي واحد يلبس او اعياه او يركب سيارته وبنقهر لما بلاقي حدا راكب سيارته. صباح: انا اعطيت اصحاب ابني او اعياه. نعم: انا كل ملابس زوجي خربت محل ما هدموا البيت وطخوه كيف بدى اعطي الناس ملابس

لكن طلع قميص وبنطلون سليمين ما غسلتهم وبظل اشم عرقه. الداعمة: انت لازم تغسلهم لان ريحة العرق مع الفترة بتصير سيئة. كلثوم: لا يا ... انا زوجي ملايسه لها ٨ سنوات بعرقها وخبيتها دايرة بالي عليها، ومن سنة راح ابني على الزيارة فدخلوه عند ابوه فصار ابوه يبوس فيه ويحظنه، فلما خرج ابني طلب مني انه ما اغسل ملايسه بظل يحضنهم ويشم ريحهم. الداعمة: ما يلبس ثيابي الا اعز احبابي". يبدو، من خلال هذا المثال، كيف تساهم الداعمة الجماعية في تنمية أفكار بديلة المرتبطة بالفقدان، وبالتالي فهي وكيلة تغيير التي نجحت بأسلوبها تطوير سلوكيات بديلة، يُعتبر الحديث عنها من الممنوعات. تعكس داعمة أخرى المثال التالي: "بداية تحدثت ام عامر عن تجربتها عن فقدان ابنائها الذين استشهدوا: الناس لا يريدوننا ان نبكي بل نزرعد وعملت على ما قالوه لي وهذا من السلوكيات الخاطئة لان الفاقدة يجب ان تبكي لان ذلك يفرغ عنها...". ومن السلوكيات الخاطئة هي الذهاب للمشعوذين واخذ المهدئات، كما عبرت "ام عاصي" عن تجربتها "التفريغ عن نفسي بقراءة القرآن والايامن بالقضاء والقدر والنوم مكان الشهيد، واعطاء ملابس الشهيد لآخوته ولأحبابه، وأيضا الذهاب الى مكان استشهاده، وقراءة الفاتحة وتذكير في الأعمال الحسنة التي كان يقوم بها والدعاء له". "وداد" هي فاقدة أسمعت أقوالها عالية للفاقدات المشاركات في مجموعة الدعم، قائلة: "سلفي عندما استشهد قام الجيش باحتجاز جثته على الحاجز، فقد كانت حماتي صابرة فلم تبك فصار الناس يقولون لها انها قاسية القلب لم تبكي شهيدها ... فنحن لا نريد ان نعمل كما يريد الناس... ولكن نعمل كما نريد نحن لأن الشهيد هو ابننا". تُلخص داعمة طريقة للتعامل مع الفقدان: "كسر الصمت يكون من خلال كثرة الحديث عن الفقيد نفسه، الله أعطى وألله اخذ، اللهم أجرني في مصيبيتي وأجرنا خيرا منها الاعتراف بمصيبتها، ونقول لها مهجة قلبك من حَقك البكاء، فالمشاكل تبدأ صعبة والفقدان صدمة كبيرة ... وعندما تتذكر ابناءها تعمل أي شيء لتشجيع نفسها على استمرارية الحياة وعلى أن تطبخ الطعام الذي يحبه اولادها الشهداء او المعتقلين وتعزم أصدقاءه وأحبابه على هذا الطعام".

تم التركيز في هذه اللقاءات على البدائل والسلوكيات الصحيحة لمواقف الفقدان، مثل توديع الشهيد وحضور الجنازة وتقبل الخبر، وعدم ترك مجال للخيال بأن الميت سيعود أو انه لم يموت. كذلك تم التركيز على سلوكيات ايجابية، مثل طبخ جميع أنواع الطعام التي كان يحبها الشهيد ونقاط القوة التي دفعت الفاقدات لتجاوز مرحلة صعبة من حياتهن، والعودة إلى روتين الحياة من أجل المحافظة على بقية أفراد الأسرة واحتضانهم من جديد. تُعبر عملية سرد قصص توديع الشهداء عن مشاركة وجدانية من الفاقدات المشاركات، وتأكيدهن على ضرورة ممارسة الحياة الطبيعية بعد الفقدان.

يستند الدعم الجماعي، في أحيان، على تجربة الفقدان لدى الداعمة، التي تُعتبر القدوة التي تعرف كيفية التعامل مع الفقدان وبالتالي فتجربتها مهمة للفاقدات الجدد. النقطة الهامة هنا هي أن الداعمة تستخدم هذا الاتجاه لتقوية دافعية الفاقدات للتحدث عن فقدانهن، ولذلك فهي تستخدم هذا الأسلوب في بداية اللقاءات الجماعية. استخدمت "سمر" وهي داعمة جديدة هذا الأسلوب: وفي هذه اللحظة تذكرت "سمر" معاناتها عند زيارة ابنتها سلوى في السجن وقالت للمجموعة: "انا

مريت في هذه المعاناة فأنا في إحدى الزيارات وكانت الزيارة الثانية لابنتي بعد ما اطلعت عن التفتيش نادى علي الجندي وقال لي ارجعي الى الورا، فانا خفت، وسألته وكان يتحدث بالعبري ولولا وجود المسؤول عن الصليب لما فهمت عليه، فارجعي الى التفتيش لعدة مرات وطلبت مني المجندة ان اخلع بعض ملابس لي لكي يعرفوا لماذا الماكنة تستمر بالزن كلما امر عنها... فكانت معاناتي كبيرة في هذه اللحظة... ولو استمروا معي في التفتيش لرفضت وما كنت زرت ابنتي".

تُظهر هذه الأمثلة أن الدعم الجماعي هي طريقة فعالة من خلالها تستطيع الفاقات ليس فقط التعبير عن المشاعر "الصعبة" وانما استعادة الذاكرة الجمعية للفقدان وتنظيمها من جديد.

لقاءات الدعم المجتمعية

يُعتبر الدعم المجتمعي من أهم طرق الدعم والتدخل عامة لأنه يستهدف فئتين في آن واحد: جمهور الفاقدين والفاقدات والجمهور المرشح للفقدان، حيث يهدف إلى تطوير الوعي والهوية الجمعية في مجال الفقدان. بالتالي، يتم توفير التدخل على مستويين: الوقاية من الدرجة الأولى، التي تعني توفير معلومات حول كيفية التعامل مع الفقدان قبل وقوعه، والوقاية من الدرجة الثانية والتي تعني توفير فرص التعبير والتعامل مع مشاعر، أفكار وتصرفات المرتبطة بأحداث الفقدان الواقعة.

يُعبّر، خلال اللقاءات المجتمعية، عن أنواع مختلفة من الفقدان، التي تُوفر فرصة المشاركة ومن خلال الاستماع الى بعض تجارب النساء الفاقات. تحدثت إحداهن عن ارتباطها بابنها الشهيد حيث كانت تلاحقه قبل استشهاده على الحواجز وكافة الأماكن، رغم ذلك لم تستطع حمايته، بسبب القضاء والقدر، حيث كان عمره (١٧) سنة. وتجربة "أم عصام" التي عن قصة وفاة زوجها يوم العيد، حيث قالت: "حاولت أن أكرم حزني وأصبر الجميع من حولي ولكني ندمت بعدها لأنه ظهر على جسمي أمراض نفسية وجسدية". و"أم محمود" قالت أمام حوالي خمسين امرأة في جمعية نسائية: "لما مات أبوي رفضت الخبر رفضاً تاماً لأنه كان في جنازة صاحبه وقت الظهر وكانت جنازته العصر... يعني بعدما هو ساعد في دفن صاحبه بعد ساعتين لحقه، وإحنا بنحمد الله أن أصحابنا وجيرانا كان لهم الأثر الكبير في دعمنا والوقوف إلى جانبنا". وفي لقاء مجتمعي آخر تم إجراءه في جمعية احد المخيمات قالت الداعمة "صبرية": "هنا لاحظنا أن الوجوه حزينة والدموع بالعينيين عند بعض المشاركات وطلبت إحداهن الحديث وهي تخفي دموعها وقالت: كل ما ذكرته أنا مريت فيه حيث توفي والدي ونحن صغار وبدأت رعاية أخوتي الذي استشهد أحدهم خلال الانتفاضة، وبعد اربعين يوم ذهبت للمستشفى بعد أن بلغوني أن أخوي الاخر مصاب. تفاجأت أنه استشهد ولم أشوفه إلا دقائق ومن يومها وأنا في صراع مرير مع الامراض".

يُعتبر اللقاء المجتمعي عنواناً للتعبير عن الصعوبات الناتجة من ممارسات الاحتلال. "محمود" طالب جامعي الذي شارك في لقاء حول الأوضاع الاقتصادية والفقدان، فقال: "شو بدنا نحكي، الحياة صعبه علينا وعلى أبونا وأمنا، إخوتي الاثنين معتقلين وأبوي ممنوع أمني وأمي

الله يعينها كل يوم ثلاثاء وكل يوم أحد بتروح تزور على السجون، وبتطلع من الساعة ثلاث وبتحمل إغراض كثيرة لأخواتي وكل مره بترجع وبتصير تعيط، وغير أنها مريضة معها سكري". تبدو مظاهر الفقدان بارزة، في هذا المثال، على مستوى التواصل بين أفراد الأسرة، فكما يبدو أن الإدراك الجمعي يُحمل المرأة المسؤولية عن توابع الصراع، وفي أحيان كثيرة تُعتبر هذه المسؤولية فوق إمكانياتها وطاقاتها. ما يميز هذه اللقاءات هو تحويل الفقدان الفردي لفقدان جمعي من خلال المشاركة، فيبدأ الجميع بالشعور أن الفقدان هو أمر مشترك للجميع، ومن خلال تبادل المشاعر والأفكار، والتوصل للنتيجة أن جميعهم قاسم مشترك واحد هو: الاحتلال والفقدان والدعم المتبادل.

نتائج تجربة الدعم

قالت سعاد، وهي فاقدة جديدة، في جلسة جماعية: "إنني شعرت بتغير كبير في حياتي رغم أنني لست عصبية في إدارة شؤون أسرتي وحياتي اليومية، ورغم اعتقال ابني الذي أحدث تأثيرات سلبية بسبب بعده عني ... وبذلك أصبحت أذهب لزيارته بثقة ودافعية أكبر... وإنني أشعر اليوم بالقوة والأمل لوجود من يساعدنا ويدعمنا في تحدي المشاكل الأسرية والاجتماعية الذي خلفها الاعتقال".

أوجدت اللقاءات الفردية والجماعية والمجتمعية الروابط المشتركة، وساهمت في طرح قضايا الفقدان دون تردد أو قلق، وبكل جرأة وثقة وصراحة ومشاركة وجدانية وفكرية. طرحت الفاقات قضايا تعكس احتياجاتهن، وبالتالي اكتسبن خبرات عديدة ومن خلال الإنصات الواعي أثناء اللقاء وما تخلله من احترام الآراء والتقبل والمواجهة، ومما أثر عليهن في ممارساتهن اليومية. فهذه فاقدة كانت دائمة القلق وفي حالة ترقب وخوف قبل موعد محكمة ابنها، أما اليوم فأصبحت تتقبل الحدث بقوة.

معظم الفاقات عبرن عن حدوث تغييرات ذاتية وأسرية واجتماعية. إن هذا الكلام الذي تعبر عنه الفاقدة "أم ربحي" خير مثال. فهي تقول: "أنا كنت في البداية قبل ما اشارك مع الاخوات في لقاءات الدعم اظل في البيت، وما احب اطلع وكنت دائما مريضة وتعبانة، وكل ما اروح على الطبيب يقول لي انو هذا الشيء بسبب نفسيتي التعبانة. لكن بعد المشاركة مع الاخوات وسماع قصص ومعاناة كثيرة من الاخوات حسيت انو اللي بشوف امصيبة غيره بتهون عليه امصيبته، وانا استمديت القوة من الله عز وجل اولاً ومن تجارب وقصص الاخوات. وانا لما انحكم ابني ٢٩ عام في السجن صحيح اني ازعلت في البداية ولكن بدرجة اقل من الاول، والسبب الدعم المعنوي اللي انا اندعمته من المجموعة والاخوات وانا بالنسبة اللي الهدف اللي انا كنت جاية على شأنه اتحقق". يعكس هذا المثال المقارنة التي تجريها الفاقدة بين وضعها خلال الفقدان ووضعها بعد الدعم.

فالتعبير عن المشاعر الصعبة هو بحد ذاته تغيير. عبرت الفاقات، في أحيان كثيرة، عن مشاعر قد نستصعب سماعها أو لا نصدق وجدها. عبرت فاقدة عن مشاعرها أمام مجموعة من الفاقات بقولها: "أنا كنت سيئة مش قادرة اشوف الناس ولا اشتغل بس لما اجت عندي

الداعمات... وطلب مني انضم للمجموعة عشان أخف عن حالي ترددت بس لما جيت وجربت انبسطت كثير وخففت كثير من الضغط اللي عليه. كان لما يبجي عنا حدا احكي لبناتي احكن اني مش هون. كان نفسي احرق الدار باللي فيها، كنت افكر اخنق بنتي بالليل واقول لقيتها ميتة، والله الناس كثير بتحكي وما رحمتني". قوة الفاقدة هنا، كباقي الفاقدان، التعبير عن العاطفة، ولكن في نفس الوقت بدأت الفاقدة في التعبير عن فقدانها بمنطقية.

شعرت الفاقدان بوجود الأمل بعد الدعم ولكن الظروف التي يفرضها الاحتلال أقوى، في أحيان كثيرة، من الدعم. تشعر الفاقدة بوجود الأمل بعد الدعم وهذا ما يواسيها، ولكن ظروف أسرتها لا تطاق، فزوجها وأولادها بدون عمل: "نحن نسكن في غرفة واحدة. ننام ستة أنفار وإذا نزلت على السوق فإننا نأكل، وإذا لم انزل فإننا لا نأكل. تعلمت الصبر من المجموعة الداعمة وتعلمت أن اعتمد على نفسي. رغم البكاء والدموع لازم نعيش". عبرت هذه الفاقدة عن مشاعرها بشكل لا يصدق فكانت لا تستطيع البكاء والحديث عن فقدانها، في البداية كانت مخوفة وكانت تكتفي بالإصغاء للأخبار. مع مرور الوقت تشجعت واستطاعت أن تتحدث عن كل ما يؤلمها: عن استشهاد ابنها وعن اعتقال ابنها الآخر وعن ابنتها المطلقة وعن زوجها المريض الذي لا يعمل وعن العوز الذي تعيشه، وفي اللقاءات الأخيرة كانت تتحدث بإسهاب عما يتعبها وتطلب إيجاد حلول لذلك.

تعكس فاقدة أخرى وضع المجتمع الفلسطيني في ظل السجن الكبير الذي يعيشه نتيجة الجدار والإجراءات والممارسات المستمرة بالرغم من توفر الدعم: "ها هي حياتي- أولادي قاعدين بالبيت بدون عمل، وابني السجين دائماً ازوره، وأنا اكون متابعة بين اللي في السجن والي قاعدين بلا شغل، والبيت كله مشاكل، وما في أكل ولا شرب". عبرت هذه الفاقدة عن مشاعرها وأحاسيسها بقوة. كانت فاقدة أخرى "مثل أنبوبة الغاز في كل لحظة ممكن أن تنفجر" ولكنها بدأت، خلال اللقاءات، تعبر عن نفسها تدريجياً حتى استطاعت التخلص من غضبها: عبرت عن اشتياقها لزوجها، وعبرت عن غيرتها من أسلافها وزوجاتهم، وعبرت كيف ودعت زوجها، وعبرت عن علاقتها مع أولادها وبناتها. كانت تبدو في كل اجتماع أفضل من اللقاء السابق ولكنها استطاعت، بفضل أجواء السرية والتفهم والمودة، تجاوز الكثير من أعراض الفقدان.

"أم حافظ" سيدة في الخمسينيات من عمرها تعاني من ضغط دم عال وسكري فكما يبدو الحياة كانت "ثقيلة عليها"، تزوجت وهي في الرابعة عشر من عمرها وهي بعيدة عن أهلها. وجدت أهل زوج لا يرحمونها ولا يتقبلونها، فهي من أسرة مناضلة كقولها وقد ربت أبناءها ليكونوا مناضلين، وكانت تميز نفسها بذلك، وهذا جعلها تعتز بنفسها وبقيمتها رغم كل ما حصل معها. في بداية اللقاءات كانت تجلس مستمعة، ولكن سرعان ما ارتاحت واندمجت وأصبحت في بعض اللقاءات الأكثر تحدثاً ومشاركة. تحدثت عن نفسها، وعن أهلها وأحوالها وعن أبنائها، وكانت دائماً تعتز بهم جميعاً. إن التعبير عن نفسها جعلها أكثر جرأة في الدفاع عن نفسها.

تؤدي هذه التحولات أيضاً إلى إدراك متجدد وطاقة متجددة نحو المجتمع. الفاقدة "أم مهند" تشعر أنها تغيرت كثيراً فهي لم تكن تعرف أهل المخيم بالرغم من وجودها فيه سنين طويلة. تدرك أن ما حصلت عليه هو الدعم النفسي والمعنوي. أدركت أنها تعرفت على هموم الناس "وأنا اليوم الحمد لله أقوى من الأول بكثير وأنا صار عندي تغيرات كثيرة وصرت اشارك أهل المخيم في مناسباتهم وذهب اليهم واساندهم عند سماعي لأي مشاكل أو افراح اوقف بجانبهم وادعمهم". يعكس مثال آخر هذا الإدراك المتجدد، فمع فحين سماع الفاقدة خبر وفاة شاب، في حادث حريق بفرن في المخيم، ذهبن بشكل جماعي ووقفن بجانب أمه لمساندتها وتوفير لها الدعم. تدرك الفاقدة أنهن اليوم أقوى من قبل، فلديهن الإدراك والدافعية أن يذهبن للتعزيزية والمساندة وتقوية العزيمة في حالة سماعهن حدث اعتقال أو إصابة أو استشهاد.

أما من ناحية ردود فعل الأهل تجاه الدعم، فلم تلق فكرة مشاركة الفاقدة في لقاءات الدعم، في بداية المرحلة الثالثة، صدى ايجابياً وداعماً في وسط أزواج وأبناء والذين لم يتوقعوا أن تتغير الفاقدة في يوم من الأيام. جزء من الأبناء والأزواج وجدوا أنفسهم بدون حول لهم ولا قوة، فهم لا يعرفون التعامل مع الفاقدة في ظل رفضها فقدانها، وذاتها ومن حولها.

لقد تم استطلاع مواقف لأفراد في الأسرة. تؤكد "رائدة"، وهي بنت لفاقدة، أنها هي وأسررتها سعداء لحدوث تغيرات لدى أمها مثل التخلص من العصبية، وتعلم طرق جديدة في تعاملها مع أفراد أسرتها. وفرت المشاركة في اللقاءات لأمها فرصة عمل، حيث أصبحت تشارك في دخل الأسرة ومما خفف من الضائقة الاقتصادية التي كانت تعيش فيها. وعرفت "مريم"، والتي كانت تشارك في اللقاءات الجماعية مع أمها، عما حصل لديها من تغييرات حيث أنها صبحت أقل عصبية، واستطاعت أن تغير من تعاملها مع أبنائها، وصارت تناقش أبناءها وتستمع لهم.

لدى "أسعد"، ابن لفاقدة الذي أطلق سراحه من المعتقل خلال فترة مشاركة أمه في الدعم، الوعي لما يحدث لديها. يُظهر أقواله أن والدته كانت تعكس له مدى أهمية حضورها في اللقاءات والاستفادة منها. فهذه الفاقدة لم تكن تقوى على الكلام، ومن خلال اللقاءات استطاعت أن تبكي وأن تعبر عن فقدانها ولوعتها، واستطاعت أن تتحدث عن معاناتها وألمها. يوافق الرأي "نصر" وهو طالب في جامعة محلية وابن الفاقدة "أم طارق" فيقول: "فعلاً أمي تغيرت كثيراً ونفسيتها ارتاحت علشان طلعت على المجموعة صارت قوية وصبورة وبنروح معها

نزور خالتنا وأهلنا قبل ما كنا هيك". لمس "أبو العبد"، وهو ابن لفاقدة، التغييرات التي حصلت لديها بعدما كان يراها محببة، ودائمة التواجد في البيت، ودائمة البكاء: "ولما راحت على المجموعة تغيرت كثيراً. في البداية كانت ما تحكي كثير صارت تحكي وتطلع من الدار وتروح على المناسبات وتشارك الناس وتروح الرحلات والي بالمجموعة صارن خواتها وتشاركهن في أحزانهن."

بالرغم أن الفاقدة "ام صالح" ست كبيرة في السن ومريضة، إلا انها تغيرت بشكل ملحوظ وما تذكره ابنتها انها "تقبلت استشهد ابنا وبدأت تفكر بإيجابية اتجاه بيتها وبناتها. بدأت تقنعهن بمواصلة الدراسة وصارت تشارك الآخرين في مناسباتهم. فهي بدأت تبحث عن عروس لابنها الثاني وتريد أن تفرح وتضع حد لحزنها".

في حين أن العلاقات كانت متوترة بين الحماة وزوجة الابن، خلال فقدان، إلا أن مشاركة الحماة في عملية الدعم أحدث تغييراً. تنظر زوجة الابن "جهان" لتطور العلاقة الايجابية مع حماتها من زاوية مادية ومعنوية، حيث بدأت تتعامل معها بهدوء، ولذلك مردود مادي يخفف عنها قليلا من وطأة الأوضاع الاقتصادية وإعالة الأولاد. ولأول مرة تتحدث "جهان" بصوت عالٍ ومسموع أمام حماتها، وتطلب تدخلها من اجل تقرب عمها منها ومن أولادها.

أيضا للأزواج رأي. يؤكد فأغلبية الأزواج، الذين تمت مقابلتهم، أن الزوجة تغيرت بشكل ملحوظ من ناحية استقلاليتها وقدرتها على أخذ القرارات، وتواصلها مع الأزواج والأبناء، ومشاركتها في المناسبات الاجتماعية. أصبح الزوج يشجع زوجته الفاقدة على حضور لقاءات الدعم وبعد ملاحظته للتغييرات التي حصلت لديها. فعلى سبيل المثال، لاحظ الزوج أن زوجته الفاقدة أصبحت مرتاحة وقل عصبية، وبدلاً من حالة اللبلة التي كانت تعيشها أصبحت تسأل وتستفسر وتطلب المشورة وتأخذ برأي الآخرين.

يؤيد أغلبية الأزواج مشاركة زوجاتهم في الدعم. فتجربة فقدان كانت مريرة، ومعظمهم أحس بصعوبة هذه التجربة بالنسبة لأفراد الأسرة عامة، وللزوجة خاصة. بالتالي أدت تجربة الدعم الى نتائج ايجابية على مستوى أدائهن في البيت وخارجه. توقع معظم الأزواج حدوث تغييرات ايجابية لدى زوجاتهم، وكما عبر عن ذلك احد الأزواج: "توقعت أن تكون في وضع أحسن... تخرج من الضغوطات الي كانت بتعاني منها وانها تدعم الناس وتساعدهم وتكتسب خبرة في المجال العملي". يُدرك الأزواج، أمثال "أبو سرحان"، أن المشروع مميز وله صدى كبير في تحقيق دور المرأة القيادي. فللداعمة أصبح دور أكثر تأثيراً في البيت فـ "صارت تحب تدريس الأولاد ومتابعتهم بكل شيء، وصارت تشتغل في البيت بكل حيوية ومتمعة". تغيرت الفاقدة في تعاملها، كما عبر عن ذلك احد زوجها: "خفت عصبيتها، حتى مع أولادها المتزوجين وزوجاتهم علمتهم الهدوء والتعامل بطريقة حلوة في البيت... اليوم هي قريبة مني...".

مناقشة وتوصيات

تفترض الدراسة أن العلاقة الجدلية بين المُحتل والواقع تحت الاحتلال، هي أعمق من مجرد نزاع أو صراع المبني على قضية محددة، التي قد تنتهي بعد حين. كذلك تفترض الدراسة أن هذه العلاقة هي قهرية بمعنى أن الواقع تحت الاحتلال لا يريد الاحتلال ولا يوفر أي شرعية لتواجده. لذلك، تهدف الدراسة التعامل مع الفقدان كنتيجة نابعة من تواجد الاحتلال، وبالتالي يُفترض أن حل الفقدان هو جذري ويتم فقط مع رحيل كامل ومطلق للاحتلال.

تواجه المرأة الفلسطينية الاحتلال، رغماً عن الأسى والحزن، ومن خلال صمودها ووعيها، وتواجه بنفس التزامن مسألة المحافظة على مكانتها في ظل النظام الأبوي، وفي الوقت نفسه هي فاقدة التي فرضت عليها أدوار جديدة. إن معاناة النساء في ظل الاحتلال لا تقل عن معاناة أي فئة سكانية أخرى وخاصة الرجال. لقد تم، وضمن تجربة نساء فاققات، وصف وتحليل أوضاعهن: ما قبل الفقدان، خلال الفقدان، خلال الدعم وبعد الدعم كما تتصورها الفاققات والداعمات الفاققات أنفسهن.

تركز دراسات كثيرة ومتعددة على تجارب النساء خلال الاحتلال والحروب، وخاصة في لبنان والكويت والعراق وفلسطين (حب الله، ١٩٩٦؛ صالح، ٢٠٠٦؛ رضوان، ٢٠٠٦؛ جار الله، ٢٠٠٦؛ النابلسي، ٢٠٠٦)، وتبرز دراسات أخرى تجارب لمشاريع عديدة التي أجريت في مناطق صراع عسكري (Ahern, 2004; Kawachi and Berkman, 2001). تعكس هذه الدراسات النتيجة أن أكثر المجموعات أو الفئات المتأثرة هن النساء، اللواتي لا يتوفر لهن دعم اجتماعي كافٍ للتعامل مع الفقدان. تُظهر دراسات شبيهة أهمية الدعم الاجتماعي في مواجهة الاضطرابات ما بعد الفقدان وتؤكد أهمية هذا الدعم خاصة في وسط فئات النساء، وذلك لسبب أن النساء هن الأكثر تعرضاً لهذه الاضطرابات (Dybdaahl, 2000; Stein, 2000).

تختلف هذه التجارب عن تلك التي تمرها المرأة الفلسطينية بسبب تواجد الاحتلال المستمر، والتهديد المزمّن. فالتجربة الفلسطينية هي فريدة من نوعها كونها تحصل في سياق احتلال يسيطر على الإنسان والأرض. فمع حصول الفقدان تتصاعد حدة الاضطرابات فتصبح المرأة الفلسطينية تعاني من توترات وقلق، ليس فقط بسبب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعيشها، وإنما بسبب أن زوجها أو ابنها مطارّد أو معتقل أو مصاب أو شهيد، أو بسبب هدم بيتها أو بسبب الفقدان المتعدد. وما تتوصل إليه الدراسة التوثيقية أن الزوجات هن أكثر الفئات المتضررة من تجربة الفقدان، في حين أن الأزواج أو الأبناء، بالرغم من تعايشهم مع التجربة، أقل تضرراً من الناحية الانفعالية والسلوكية.

وفي حين أن المرأة الفلسطينية هي الفئة الأكثر تضرراً نتيجة الفقدان، فإلى جانب الأسى الذي انتابها اضطرت إلى تعزيز واجباتها الأسرية (نتيجة فقدان الزوج خاصة) في أحيان عديدة، إضافة إلى التأقلم مع ظروف جديدة التي فرضت عليها. لكن النتيجة الإيجابية هي أن النساء استطعن التعبير عن قدرتهن على التكيف مع هذه الظروف الجديدة والتفاعل معها، وهذا التكيف نابع من توفر العوامل الاجتماعية والدينية التي تتمحور حول مميزة التماسك الأسري والروابط

الاجتماعية، والإيمان بالله والصلاة وخاصة في أوقات الصدمات (أبو دقة، ٢٠٠٩؛ عبد الهادي، ٢٠٠٧؛ تعامرة وحسنين، ٢٠١٠). تُظهر التجربة الحالية أن للفقدان والدعم نتائج على مكانة وأدوار النساء في المجتمع الفلسطيني. فعلى سبيل المثال، تغيير في مسؤوليات المرأة الاقتصادية في أوضاع استشهاد زوجها، أو اعتقاله، أو إصابته. تُوفّر هذه الظروف الجديدة للنساء تعلم مهارات جديدة، تمكنهن من تنفيذ أدوار مخصصة للرجال، ومن حصولهن على قدر أكبر من الاستقلالية المادية والاجتماعية. هذه النتائج الايجابية مُدعمة ببرامج المستندة على بناء مهارات، توفير وعي وتطوير قيادات محلية. بالتالي، تعكس هذه المشاركة للأمهات الفاقات الحضور الثقافي الاجتماعي، والديني، والسياسي، وتُعتبر تعبير عن التزامهن، ليس بعدم البكاء على الأبناء فحسب بل بإسماع أصواتهن، والتحوّل إلى شريكات في اتخاذ القرارات.

تُظهر نتائج الدراسة الحالية صعوبة التعامل مع الفقدان الجمعي إلا بانتهاج تدخل يأخذ بالحسبان جميع الأطراف: الأفراد والجماعات والمؤسسات، حيث يضمن هذا الإطار الجمعي الشمولي العمل سوية مع النساء الفاقات والفاقدات الداعمات، بالإضافة إلى العمل مع أطراف مجتمعية. يتطرق هذا التوجه أيضاً إلى توعية الأطراف المجتمعية المختلفة حول تأثير "ثقافة سيطرة الاحتلال" التي أفرزت هذا الفقدان (Conner, 2005; Kostelny, 2006) والتعامل معها كجزء من عملية الدعم، ومن خلال توعية الفاقات لتجارب ذاتية وجمعية، وتحليل هذه التجارب من منطلق مواجهة هذه الثقافة.

إضافة إلى ذلك، فتجربة دعم الفاقات تؤدي إلى التغيير في "استيعاب الحيز العام" (عواد، ٢٠٠٦) والخروج ضد المعايير والقيم السلبية التي ترى أن مكان النساء هو داخل البيت، وفي هذا الأمر احتجاج وتشكيك بالمسلمات الاجتماعية المرتبطة بالنساء، وخاصة إذا كنّ في حداد يتوقع منهن عدم الخروج من البيت بعد. فخروجهن إلى الحيز العام يعارض المألوف الثقافي، ويأتي للاحتجاج على سلوكيات المجتمع الرجولي وعلى ممارسات الاحتلال، وعلى التمييز المتواصل بحقهن، كنساء وكفلسطينيات معاً. وهنا يجري عملياً الربط بين الفقدان الخاص وبين معناه الجماهيري - الوطني.

بالتالي فإن عملية توثيق هذه التجارب هي عملية ضرورية بحد ذاتها من حيث إنها تدعم الذاكرة الجمعية و"صراع الذاكرة والهوية" (كيفوركين، 2007) حول الفقدان، حيث يتم بناء من جديد للهوية القديمة أي تكوين هوية جديدة المستندة على هوية ما قبل الفقدان ولكن أكثر قوة وإصراراً (Hinton, Navarro, & Pointe, 2006; Trapman, 1997).

وما يميز التجربة الحالية كونها تستند إلى نهج الدعم المتبادل "من فاقدة لفاقدة" (Espanioli, & Aweidah, 2007)، والتي تنظر للنساء الفاقات "خارج فقدانهن" أي الفاقات اللواتي انتقلن من حيز الفقدان الخاص إلى حيز الفقدان العام (Abu-Baker, et al., 2004)، ويُعتبر هذا التحول من أهم نتائج الدراسة حيث أن عملية توثيق واقع النساء تعطي الفرصة للنساء في مشاركة هذه التجارب مع العالم الخارجي، والاكتثار من إسماع أصواتهن قصداً، من منطلق أن استرجاع الذاكرة المنسية والهوية الضائعة هي

ضرورية لعمليات الدعم النفسي والاجتماعي. بالتالي، فإن سيرورة توثيق تجارب النساء، وكما وردت وخلال فترات حياتية مختلفة (خاصة خلال فقدان وخلال الدعم وبعده)، تعكس إدراك الفاقات الخاص لمصادر الفقدان ألا وهو الاحتلال، وتعكس قوة النساء على تحدي ذلك من خلال الإصرار على التغيير، وعلى بناء مكانة ثقافية جديدة يساندها فيها الرجال والأبناء. وهذه الملاحظة الأخيرة هامة بشأن مساندة الأزواج والأبناء، فالتجربة الحالية تؤدي الى تغيير الفكرة المألوفة أن الزوج أو الابن هو كائن سلبي، بل النتيجة الهامة هي أن كثير من الأزواج والأبناء دعموا الفاقات وتابعوا مشاركتهم في التجربة. بالتالي، ففهم هذه العمليات هام لعلماء الاجتماع، للباحثين وللأخصائيين النفسيين والاجتماعيين وهي ضرورية لصانعي القرارات والسياسات الاجتماعية ويهدف ضمان استمرارية التعامل مع هذه التجارب وتطوير التدخل المجتمعي الشمولي في مجال الفقدان.

تؤثر تجربة الفقدان والدعم أيضا على النوع الاجتماعي. تترك هذه التجربة أثرا على الشخص الذي يعاني منها، وهي التجربة الأصعب. وفي حين تنتشر هذه الآثار، في المجتمع الفلسطيني، بدرجة كبيرة فهي تسبب حالة من الفقدان الجمعي. تؤدي تجربة الفقدان (وما يليها من إدراك الفاقدة وأفراد أسرتها لأهمية التغييرات التي حصلت لديهم نتيجة الدعم) الى تغييرات عديدة في علاقات النوع الاجتماعي، وتعيد تشكيلها على أساس الأدوار المتجددة للفاقة داخل ذاتها وأسرتها ومجتمعها. أي يحدث في ظل الاحتلال ما لا يحدث في الأزمنة العادية، فقد يتم إعادة هيكلة الأدوار والمسؤوليات وإلى حدوث تغييرات ذات معنى لتؤثر على المفاهيم المألوفة حول ما يمكن للنساء عمله أو ممارسته من أفعال ومهام داخل الأسرة وخارجها.

إن استخدام أدوار النوع الاجتماعي كأداة في الصراع هو اتجاه في غاية الضرورة، حيث إن الصراع يؤدي إلى فتح فرص وتحديات جديدة أمام النساء، ويساهم في تغيير المألوف من العلاقات، وبالتالي يساهم في تحركهن لمواقع أخذ القرارات. ليس بالضرورة التحدث عن عملية صنع قرارات سياسية، بل يكفي، في ضوء الواقع الفلسطيني، أن تكون القرارات على مستوى العلاقات بين الرجل والمرأة، وفي الأسرة وفي البيئات القريبة، وعلى مستوى إحداث تغييرات في المألوف من العادات والتقاليد، وخاصة تلك المرتبطة بالفقدان. لذلك فالنوع الاجتماعي، الفقدان، والدعم هي مفاهيم تربطها النساء والاحتلال ومن الطبيعي أن تكون أدوار النساء الفاقات متباينة بتباين الصراع. ولكن هذه الأدوار تندمج في تصنيفات مثل وكيلات للتغيير، مشاركات فعالات، ميسرات دعم، ومنظمات لأدوار غير تقليدية داخل الأسرة.

من هذا المنطلق تم تطوير برنامج دعم المستند الى النوع الاجتماعي، حيث إن الممارسات الأفضل ووسائل التدخل الأكثر كفاءة، هي تلك التي تحدد دور المرأة ومكانتها من خلال تمكينها أسريا، واجتماعيا، واقتصاديا، وسياسيا. وفي حال المجتمع الفلسطيني، حيث تُعتبر فيها الأوضاع الدينية، والاجتماعية الثقافية، والسياسية عوامل مؤثرة في تنفيذ أي تدخل، تعرض التجربة الحالية منهجا الذي يأخذ بالحسبان هذه العوامل ويحاول التعاطي معها بحساسية، ومن خلال دمج الفاقات من الامهات والزوجات، والفاقدين من الأزواج والآباء في عملية وفرت الدعم بواسطة داعمات فاقات مررن بالمعاناة نفسها، ويملكن تجارب متشابهة وهن من نفس

المنطقة. يقلل هذا النهج بدوره من حدة الشعور بالتهديد القائم في حالة أن الداعمة كانت أخصائية من إحدى المؤسسات الاجتماعية، ويساهم في تشكيل أدوار جديدة للفاقدات وللدايمات ومن خلال تمكينهن كقائدات في المجتمع، ولذلك تأثير على النوع الاجتماعي والتواصل بين الرجل والمرأة أكان في الأسرة أو خارجها.

واخيرا انبثقت التجربة، في سياق الذي يربط النوع الاجتماعي وفقدان النساء في حقبة الاحتلال، التي وضعت الهوية المنسية للنساء الفاقدات في مركز الحدث، ومن شأن هذه العملية توفير قوة لنساء مستضعفات، وتعزيز قدراتهن وتحفيز استعدادهن على التعامل مع تبعات فقدان بقوة، وفي أحيان كثيرة بدعم من الأزواج، والأبناء والجيران.

أهم التوصيات التي تتوصل إليها الدراسة هي كالتالي:

١. نظراً للقضايا المرتبطة بمكانة المرأة في المجتمع الفلسطيني، فالمرأة لا تستطيع تمكين نفسها لوحدها. ومن هنا فالعمل المجتمعي يخفف هذا العجز إلى حد ما. تكوين شبكات نسائية هي فكرة قائمة في المجتمع الفلسطيني، ولكن المنشود هو إقامة شبكة دعم نسائية في مجال فقدان.
٢. الفهم الثقافي والديني ضروري لتطوير أي برنامج تدخل للمرأة والفقدان والنتائج من تواجد الاحتلال، حيث من الأهمية أن تراعي هذه البرامج الحساسية الثقافية والاجتماعية والدينية وعلاقات النوع الاجتماعي. لذلك، فإن المشاركة المجتمعية هي مفتاح لبرنامج ناجح، حيث تتناول مسألة حيوية للفهم الثقافي عن طريق إشراك الرجال والنساء من المجتمع نفسه لتوضيح احتياجاتها وقدراتها، وبالتالي تحديد خطط تدخل وتنفيذها.
٣. إن دمج المرأة في عملية صنع القرار مهمة شاقة نظراً للقيود الثقافية والسياسية والعملية. ومع ذلك، تستطيع المرأة رفع الوعي الجمعي لهذه القضايا وتطوير برامج وحملات شعبية مندمجة مع برامج المؤسسات الرسمية محدودة التأثير. إن لتطوير مجتمعات محلية أو منظمات شعبية، في مجال ضحايا الفقدان، دور مؤثر على هيئات صنع القرار كالمشرعين، والحقوقيين، والناشطين الاجتماعيين، والنواب السياسيين.
٤. عندما تصبح النساء المعيل الرئيسي في أسرهن، فإنهن ينفذن أدواراً اجتماعية واقتصادية جديدة، التي بدورها تطور فرصاً جديدة في المجتمع. من الضرورة أن يساعد الدعم الشمولي على تقوية المساعي لكسب العيش من خلال تطوير فرص عمل جديدة للفاقدات.
٥. إضافة إلى ذلك، من الأهمية بناء هيكلية مناسبة للتدخل الداعم للفاقدات، التي تشمل اختيار مناطق التدخل واختيار المناطق الأكثر تعرضاً للفقدان، والكشف عن الضحايا في كل منطقة تم اختيارها، وثم إجراء لقاءات دعم فردية وجماعية ومجتمعية منتظمة.

المراجع العربية والأجنبية

- أبو بكر، خ. وكيفوركين، ش. وعويضة، س. وضبيط، غ. (٢٠٠٦). "النساء والنزاع المسلح والفقدان". مجلة شبكة العلوم النفسية العربية. (١١). ١٧٩-١٨٢.
- تعامرة، م. وحسنيين، س. (٢٠١٠). "فردنية زوجات شهداء انتفاضة الأقصى في منطقة بيت لحم". دراسة غير منشورة. برنامج العمل الاجتماعي. الدراسات العليا. جامعة القدس. القدس.
- جار الله، س. (٢٠٠٦). "الصدمة النفسية الناجمة عن انتفاضة الأقصى". مجلة شبكة العلوم النفسية العربية. (١٢). ٢٣٨-٢٤١.
- أبو دقة، س. (٢٠٠٩). "الأثار النفسية الاجتماعية التي خلفتها الحرب على المرأة بغزة وخطة مقترحة للتدخل". كلية التربية. الجامعة الإسلامية. غزة.
- حب الله، ع. (١٩٩٦). جرثومة العنف. الحرب الأهلية في صميم كل منا. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت.
- رجب، ابراهيم عبد الرحمن. (٢٠٠٣). مناهج البحث في العلوم الاجتماعية. دار عالم الكتب. الرياض.
- رضوان، ج. (٢٠٠٦). "الأثار النفسية للخبرات للصادمة". مجلة شبكة العلوم النفسية العربية. (١٢). ١٤-١٩.
- الشيمي، د. (٢٠٠٦). "المساندة النفسية لمتضرري الحروب والكوارث". مجلة شبكة العلوم النفسية العربية. (١٢). ٩٩-١١٣.
- شعث، ن. و ثابت، ع. (٢٠٠٧). "الصددمات النفسية للاحتلال وأثرها على الحزن وكرب ما بعد الصدمة". مجلة شبكة العلوم النفسية العربية. (١٣). ٢٤-٣٧.
- صالح، ح. (٢٠٠٦). "اضطرابات ما بعد الضغوط الصدمية". مجلة شبكة العلوم النفسية العربية. (١٢). ٩-١٤.
- العارضة، م. (١٩٩٨). "استراتيجيات تكيف المعلمين مع الضغوط النفسية التي تواجههم في المدارس الثانوية الحكومية في محافظة نابلس". رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين.
- عبد الهادي، ف. (٢٠٠٧). لو أم لك الخيار. مركز للإرشاد القانوني والاجتماعي. رام الله.
- عواد، ن. (٢٠٠٦). "قصة الأمهات الـ ١٢ اللاتي قتل أبناؤهن بالرصاص في أكتوبر ٢٠٠٠". رسالة ماجستير غير منشورة. قسم الدراسات متعددة المجالات. وحدة الدراسات الجنديرية. جامعة بار ايلان. تل أبيب.

- القدومي، ع. والحلو، غ. (٢٠٠٣). "اضطراب الضغوط التالية للصدمة والتعايش معها لدى آباء وأمهات شهداء انتفاضة الأقصى في محافظات نابلس وطولكرم وقلقيلية". مجلة رسالة الخليج العربي. (٨٩).
- فريزي، ف. (٢٠٠٢). "نظرات في تربية المعذبين في الأرض". ترجمة مازن الحسيني. رام الله. دار التنوير للنشر والترجمة والتوزيع. بالتعاون مع المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية. فلسطين.
- النابلسي، م. (٢٠٠٦). "العناية بضحايا العنف الجمعي". مجلة شبكة العلوم النفسية العربية. (١٢). ١٢٥-١٣٢.
- كيفوركيان، ن. (٢٠٠٧). "سياسات إسرائيل لهدم البيوت الفلسطينية وصراع الذاكرة". الأرض. الهوية. منظور نسوي. حيفا. برنامج الدراسات النسوية في مدى الكرمل. متوفر في الرابط. www.arabs48.com/?mod=articles&ID=44311
- Abo- Nada, I. (2003). "The impact of parenting support on Posttraumatic Stress Disorder among Palestinian children in Gaza Strip". Master thesis. School of Public Health. Gaza.
- Abu-Baker, Kh. Kevorkian, N. Aweidah, S. & Dait, E. (2004). "Women. armed conflict and loss- the mental health of Palestinian women in the occupied territories". Women Studies Centre. East Jerusalem
- Ahern, J. et al. (2004). "Gender. Social support. and Posttraumatic stress in Postwar Kosovo". The Journal of Nervous and Mental Disease. 192 (11). 762-770.
- Al- Krenawi, A. Graham, J. & Sehwal, M. (2004). "Mental health and violence: Trauma in Palestine- implication for helping professional practice". Journal of Comparative Family Studies. 35. 185-220.
- Al-Majdalawi, A. (2004). "Effect of Al-Aqsa Intifada psychic Trauma of school performance among preparatory school children in Gaza Strip". Master thesis. School of Public Health. Gaza.

- Bajraktarevic-Hayward, J. (2008). "Community level interventions in working with torture and trauma survivors - nexus between theory and practice". Available at:
<http://www.psychevisual.com/lecture.html?lecture=39>.
- Conner, M. (2005). "Coping and surviving violent and traumatic events". Available at:
<http://www.crisiscounseling.org/TraumaLoss/CopingWithTrauma.htm>
- Drumm, R. Perry, S. & Pittman, S. (2001). "Women of war: emotional needs of ethnic Albanian in refugees camps". Journal of Women and Social Work. 16(4). 467-487.
- Dybdahl, R. (2000). "Children and mothers in war: an outcome stress of a psychosocial intervention program". Child Development. (72). 1214-1230.
- Dyer, K. (2005). "Living through and surviving traumatic events". Medical Wellness Archives. 2 (2). Or available at:
http://www.medicalwellnessassociation.com/articles/traumatic_events.htm.
- Espanioli, H. & Aweidah, S. (2007). "Women. armed conflict and loss- the experience of bereaved women in mutual psychological support". Women Studies Centre. East Jerusalem. Al-Manar Modern Press.
- Gardam, G. & Charlesworth, H. (2000). "Protection of women in armed conflict. Australian National University". Center for international and public law.
- Green, B. & et al. (2000). "Outcomes of single versus multiple trauma exposure in a screening sample". Journal of Trauma Stress. 13 (2). 271-286.

- Gupta, R. (2008). "The need for a holistic approach to social intervention". Available at:
<http://t8web.lanl.gov/people/rajan/AIDS-india/MYWORK/designing.html>
- Hasanovic, M. & et al. (2007). "Psychological disturbances of war traumatized children foster and family settings in Bosnia and Herzegovina". Croatian Medical Journal. 48 (2). 145-162.
- Hinton, A. Navarro, N. & Pointe, T. (2006). "Truth. trauma and the victims of torture project: helping the victims of the Khmer Rouge". Cambodia: Transcultural Psychological Organization.
- Kawachi, I. & Berkman, Lf. (2001). "Social ties and mental health". Journal of Urban Health. (78). 458-467.
- Kevorkian, N. (2004). "The hidden casualties of war: Palestinian women and the Second Intifada- Indigenous Peoples". Journal of Law. Culture and Resistance. 1(1). 67-82.
- Kevorkian, N. (2005). "Voice therapy for women aligned with political prisoners: a case study of trauma among Palestinian women in the second Intifada". Social Service Review. 79(2). 322-342.
- Klaric, M. Klaric, B. Stevanovic, A. Grkovic, J. & Jonovska, S. (2007). "Psychological consequences of war trauma and postwar social stressors in women in Bosnia and Herzegovina". Croatian Medical Journal. 48 (2). 167-176.
- Kostelny, K. (2006). A culture-based. Integrative approach. In: Boothby N. Strang A. & Wessells M. (editors). A world turned upside down-social ecological approaches to children in war zones. CT. USA: Kumarian Press. 19-37.
- Liabre, M. & Hadi, F. (1997). "Social support and psychological distress in Kuwaiti boys and girls exposed to Gulf Crisis". Journal of Clinical Child Psychology. (26). 247-255.
- Liebling, H. & et al. (2007). "Experiences of women war torture survivors in Uganda: implications for health and human rights". Journal of International Women's Studies. 8 (4). 1-17.

-
- Liebling, H. & et al. (2008). "Violence against women in Northern Uganda: the neglected health consequences of war". Journal of International Women's Studies. 9 (3). 174-192.
 - Litsegard, M. (2008). "Alternative therapeutic interventions in trauma work In Cape Town". - An explorative study of holistic approaches in a field of social work practice. Available at: <http://www.essays.se/essay/55dca5e4fd/>.
 - Peace. Conflict and development. (2008). "Community approaches to coping with the traumas of violent conflict". Available at: www.idrc.ca/en/ev-122220-201-1-DO_TOPIC.html.
 - Punamaki, L. Qouta, S. & Al- Sarraj, E. (2007). How family members express psychological distress and resources in war trauma? Gaza: Community Mental Health Program.
 - Robertson, C. & Duckett, L. (2007). "Mothering during war and postwar in Bosnia". Journal of Family Nursing. 13(4). 461-478.
 - Rochester, C. (1989). Reaching Out into the Community. Blackrose Press. London.
 - Rushiti, F. (2005). "A controlled study of the experiences of traumatized women in relation with their martial". Parental and sexual life in Kosovo. Prishtina. Kosovo: The Kosovo Rehabilitation Centre for torture Victims.
 - Somasundaram, D. (2007). Collective trauma in northern Sri Lanka: a qualitative psychosocial-ecological study. Department of Psychiatry. University of Adelaide. Australia & University of Jaffna. Sri Lanka. Available at: <http://www.pubmedcentral.nih.gov/articlerender.fcgi?artid=2241836>.
 - Stein, M. (2000). "Gender differences in susceptibility to posttraumatic stress disorder". Behaviour Research and Therapy. (38). 619-628.

- Trapman, M. (1997). "Collective Trauma among displaced people and refugees in Ethiopia". Steps towards intervention projects. Available at:
<http://www.xs4all.nl/~mtrapman/Ethiopia/Pages/interv.htm>.
- World Summit on the Information Society. (2005). Women's experiences in situations of armed conflict. Abstracted from "ICT for development success stories: youth. Poverty. Gender". a knowledge for development publication series of Global Knowledge Partnership (GKP).